د. محمد مرتاض

الموضوعاتيّة في شعر الطفولة الجزائري

(عند: الغماري - ناصر - حرز الله - مسعودي)

ديوان المطبوعات الجامعية



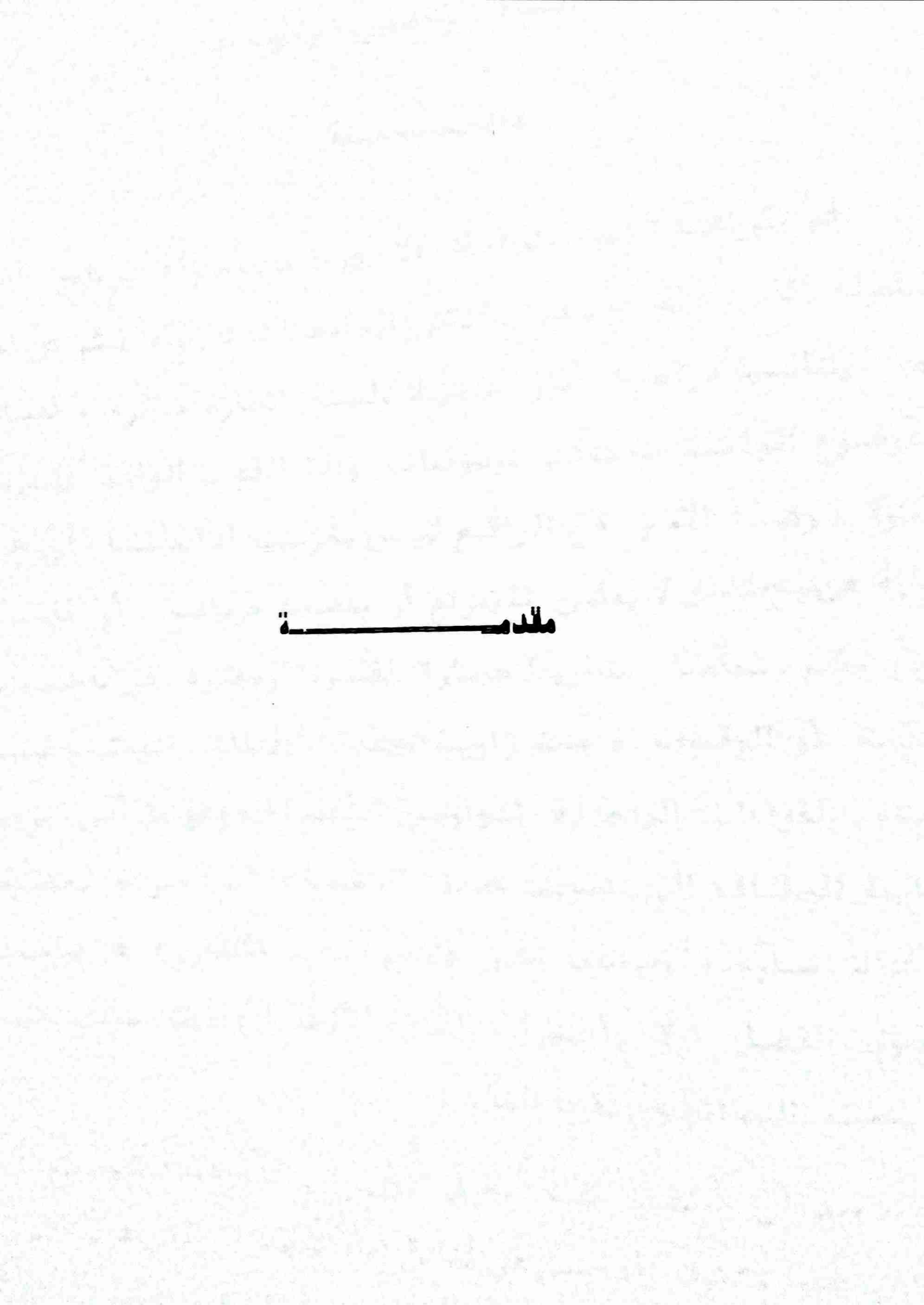
د. محمد مرتاض
جامعة تلمسان

الموضوعاتيّة
في شعر الطفولة الجزائري

(عند: الغماري ـ ناصر ـ حرز الله ـ مسعودي)

ديوان المطبوعات الجامعية
الساحة المركزية ـ بن عكنون ـ الجزائر

رقم النشر: 4 . 09 . 3846



مقدمـــــــــــــــــــــــــــــــة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

لم يكن هذا البحث أصلا الا جزءا من أجزاء برنامج أدب الطفولة الذي طفقت بعض الجامعات تدرّسه ، ثم عنّ لي أنه يتطلب دراسة أكثر تفصيلا وليس اشارة عابرة ، فاذا الموضوع الواحد يستدعي موضوعات واذا الفصل الواحد يستزيد فصولا ، وهذا الامر في الواقع ليس بغريب اذا علمنا أنّ الكتابة عبارة عن نبع متدفق لا يمكن لليراع أن ينضب جريانه ، أو للفكر أن يتحكم تحكّما سلطويا جبارا لقسره وحصره في نقطة معينة أو الوقوف به عند زاوية محدّدة ، لذلك انهمكت في نشوة القراءات المتعددة لدواوين الشّعراء ، وهو ما أدّى بي في نهاية المطاف الى تسويد هذه الصفحات التي يراها بعض النّقّاد سارّة ، ويراها آخر عكس ذلك ، فالقاريء هو صاحب القول الفصل اولا وأخيرا ، ولكّن الاكيد أنّ ذلك سينتج ما يسميه الحداثيّون نقد النّقد.

بيد أنّ أولئك كله يحل دون أن نقدّم هذا البحث للقاريء الذي هو مشارك أساسي في كتاباتنا كلّها ، ولكنّ هذه التقدمة لا نعتبرها بمثابة الوصاية عليه ، وانما لاثارة اهتمامه الى القراءة لاأكثر .

ويجدر التنويه بأنّ كلمة " موضوعاتية " مصطلح جديد في الادب العربيّ وصل الينا عن طريق التأثير الذي أتتنا أمواجه من الغرب... وبما أنّ لغتنا العربية ونقدنا العربي الاصيل لا يأبيان هذا التأثّر ولا يمجّانه ، بل يهفوان اليه ويرحبّان به ، فاننا ارتأينا أن نطبّق هذا المنهج أو هذه المحاولة التي لمّا تتبلور بعد، ولكنّ ذلك لا يمنعنا من تطبيقها في هذه الدّراسة المتواضعة التي أفادت من محاولات السّابقين ، والتي هي مدينة لهم بفضل هذا السّبق بطبيعة الحال ، وليس نافلة القول أن أذكر مجلة (دراسات سيميائية) التي تعرضت الى " الموضوعاتية " في عدديها الثاني والثالث *

على أنّ بحثنا هذا لم يتكيءْ اتكاء خاملا على باحث معيّن كي لا يدور في ذلك التقليد، ولا يسجن في قفص المحاكاة، وانما قد سلك سبيلا مستقلا ووظّف معظم ما رآه جديدا من غير أنيجري وراء الهجنة أو التّطرف طمعا في انتزاع صفة التميّز والانفراد فعملّية " التناصّ" صارت معروفة لأن ، أو كما كان يطلق عليه القدامى " توارد الخواطر" ولذلك فانّ ما أثبتناه في هذا البحث نعتبره جديدا في طريقة التناول ، والتنظير والتطبيق.

---

* دراسة للدكتور حسن جلاّب

ولعله قد آن الاوان للاشارة الى أن " الموضوعاتية" - كما تعرف بها البحث - هي مجموعة من الموضوعات يلتام شملها وتصرف معانيها وتحصى أفكارها ضمن موضوع واحد، أو بحث واحد، ومن المفروض أو المرغوب أن تقتصر على غرض معيّن كالوصف أو الغزل وغيرهما ، لكنّنا اعتبرنا في بحثنا هذا الشمول لا التخصيص، أي أننا اكتفينا بالعنوان الشامل " أدب الاطفال ج وأهملنا " الموضوعاتية " المحددة المصغرة وكان نتيجة ذلك أن غدت المواضيع الواردة في المجموعات الشعرية الاربع جزءا من كلّ وفرعا من أصل . وكما يلاحظ القاريء الكريم ، فقد ظلت الدّراسة لا تخرج عن اطار هذا الالزام ، ولا تنأى عن هذا المنهج الذي اندرج في نهاية الامر تحت أربعة فصول مسبقّة بمقدّمة ، ومدخل توضيحيّ وجيز.

والحمد لله أولا وآخرا

محمد مرتاض

(جامعة تلمسان)

مدخـــــــل

لقد عرف، التأليف للطفل خطوة يمكن أن نقول عنها أنها كبيرة في مجال التأليف الابداعي ولا سيما في القصّة الطفليّة والانشودة أو شعر الطفولة عموما ، ولا أدلّ على ذلك من كثرة القصص التي تولّت نشرها المؤسسة الوطنية للكتاب، والتي تتجاوز - حسب تقديرنا - الخمسين .

ولكنّا لن نعني في دراستنا هذه بكل ما كتب للاطفال في الجزائر (من شعر وقصة) وانما سنقصر اهتمامنا على عيّنة مما أنشد لهم ضمن دواوين أربعة فحسب (1).

ونظرا الى تعدّد القصائد التي تحتوي عليها كلّ مجموعة شعريّة (2) فقد ارتأينا أن تكون دراستنا لهذه الدّواوين موضوعاتيّة ، وذلك برصد القصائد التي تدخل تحت محور واحد فانطلاقتنا اذا ، كانت بناء على توحّد " التّيمات لا على اختلافها . ومحاسن هذه الخطة المنهجيّة تتضح أكثر حين تقوم باختزال كثير من الحقائق ، وبتنظيم عديد من النّتائج في خانات محدّدة وفي اقسام منتظمة لا تتعب القارىء ولاتشتّت

حبال تفكيره بعيدا ، وذلكم ما دفعنا الى انتهج هذه الخطة .

وقد بدا لنا بعد مستويات عدّة من القراءة أنّ لهذه الدواوين اهتمامات تكاد تكون متحدة ، ونحسب أنها تطمح في مجملها الى تحقيق الاهداف التالية :

أ- محبّة الله والرّسول ، والاستمساك بالدّين الاسلامي
ب- حبّ الوطن ، وتخليد الثّورة وتمجيد الشّهداء
جـ- حبّ الطبيعة بكل ما فيها من متحرك وجماد
د - حبّ البيئة المدرسيّة وما في حكمها .

وبنظرة سريعة الى العناوين التي اختارها أصحابها نخال أنها كلها كانت تهدف الى استقطاب نظر الطّفل الصّغير وهي ايضا تروم ترسيخ القيم التي تكوّن ثوابت المجتمع الجزائري العربيّ المسلم ،

فعنوان الشّاعر (الغماري) يذهب بعيدا الى الراية الخضراء للاسلام ، والطّبيعة الخضراء التي لا يكون نجاح وازدهار للمجتمع الا بها والى الاعمال التي تنسج هذه الصّورة الخضراء، والتي هي ضدّ الحمراء والسوداء وما عطف عليهما من ألوان الشقاء والمحلل، والسّير على منهج الضّلال الفكري والايديولوجيّ ... وهذا الاختيار يدلّ على تمكّن الشّاعر من فنّه ، وهو شيء لا نروم الجدل فيه الان ، بينما اختار الشّعراء الاخرون عناوينهم - كما أحسب - تبعا لكلمة نابضة رقيقة تأخذ بلبّ الطّفل في

المدرسة الاساسيّة ، فاختار مسعودي : " نسمات وناصر :
" البراعم النديّة " وحرز الله : " حديث الفصول "

تبقى ملاحظة أخراة ، وهي أنّني لن أتناول النّاحية الفنيّة لدى الشعراء الا في مختتم هذه الدّراسة ، وسيكون الحديث مقصورا على مدى تلاؤم الخطاب الشعريّ مع مستويات الاطفال ، وعلى خصائص البنية التركيبيّة في الخطاب الشعري لهؤلاء الشّعراء الاربعة في أدوات معينة تتعلّق بهذه البنية .

الفصل الاول

الدّراسة الموضوعاتيّة

أ- محبّة الله والرسول ، والاستمساك بالدّين الاسلاميّ

ب- حبّ الوطن وتخليد الثّورة وتمجيد الشهداء

ج- حبّ الطبيعة بكل ما فيها من متحرك وجماد

د- حبّ البيئة المدرسيّة وما في حكمها .

أ- محبّة الله والرسول ، والاستمساك بالدّين الاسلاميّ

يتضمن المحور الاول من هذه الدّراسة الموضوعاتية التالية :

قماريّ : حديد المسجد ص 39

حرز الله : الفتى المسلم ص 30

مسعودي : مولد الرسول ص 8

ناصر : الهدي ص 3

ناصر : عهدي ص 10

واضح أنّ الموضوعات التي تناولها الشّعراء لها علاقة وطيدة بالدّين الاسلامي، وهي تلتقي في المبنى العام المشترك فالحديث عن الله سبحانه وتعالى يفضي بصاحبه الى الرسول صلى الله عليه وسلم . والرسّول يكون أصحابه معمّرين بيوت الله محافظين على الميثاق الذي عاهدوا الله عليه . وهذه القصائد تطفح بالكلمات الاسلاميّة التي تكون في مجموعها توقدا ايمانيّا وتزرع في نفوسهم حبّ الله والرسول والاسلام بصورة عامة . فقد دعت قصيدة (ناصر) الطّفل الى التفكّر في آيات الله الرائعة في هذا الوجود والتي خلقها الله سبحانه وتعالى لتظّل شاهدة على وجوده : " انّ في خلق السّموات والارض واختلاف اللّيل والنّهار لايات لاوّلى الالباب" (3) وانّ في خلق السّموات والارض واختلاف الليل والنّهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع النّاس وما انزل الله من السماء

من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبثّ فيها من كلّ دابّة وتصريف الرّياح والسّحاب المسخر بين السّماء والارض لايات لقوم يعقلون" (4) وليسبح بحمده كما تفعل ذلك سائر المخلوقات والكائنات" وان من شيء الاّ يُسبّح بحمده ، ولكن لا تفقهون تسبيحكم (5) ..

لقد أراد الشاعر من الطفل أن يفتح عينيه على نور الله الذي يشرق صبحا ويضيء ليلا فقال :

افتح الصّدر على أفياء نورك وأغذّي الصّدر من هبّات فجرك

وطلب اليه أن يستمتع بخرير النهر المنساب، ويرنو الى ابتسام الزهر الضّاحك الخدود:

وأعبّ السّلس من دفّاق نهرك وأرى الدّنيا ابتساما فوق زهرك

بل يعترف ويقرّ بوجوده من خلال التجاء الناس جميعا اليه حتى الطّغاة العتاة حين تضيق بهم السّبل، وتوصد في وجوههم الحيل فلا يملكون أنفسهم الا أن يردّدوا بخشوع وبعيون دامعة : الهي وسيدي ومولاي !... انه الاقرار بالذّنب والاعتراف بالخنوع والتذّلل ازاء الجبّار الشّديد القويّ:

في سكون الليل في الموج سمعتك انا في الخوف وفي الامن وجدتك

أنا في الاخفاق وفي النّجح رأيتك فسبقت الدّمع لطفا اذ دعوتك

* * *

افتتحنا هذا المحور بما تضمنه قصيد الشاعر (محمد ناصر) لنصل الى ما نظمه الشاعر (مسعودي) عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) الذي بعثه الله رحمة للعالمين، و الذي قال عن نفسه بأنه الرحمة المهداة والذي وصفه الله سبحانه وتعالى بصفتين من صفاته لم يصف بهما نبيّا ولا رسولا قبله ، فقال عنه :
لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتّم ، حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم (6) فقد وصفه بالرأفة والرحمة. هذا الرسول الذي عانى الامرّين في سبيل نشر هذا النور الذي يملأ ملايين قلوب المؤمنين في العالم ، اذ بعد أن تساءل الشاعر (مسعودي) على لسان أحد الاطفال، لماذا هذه الشّموع الكثيرة وهذه الجموع المحتشدة في السّاحة الفيحاء ، فيردّ عليه الجمع قائلا :

فهل نسيت أننا في مولد الرسول (7)

ثم يروح الجمع بعدّد أعمال الرسول صلى الله عليه وسلم وجهاده وما حملته دعوته الى البشريّة من نعمة لا تحصى .

من بالعلوم جاءنا
من بالايمان جاءنا
ودينه الحنيف
ووحيه الشّريف (8)

* * *

ولقد ترك الرسول صلى الله عليه وسلم ما ان تمسكنا به لن نضلّ بعده أبدا: كتاب الله وسنته ... ومما لا نضل به أبدا ارتباط المساجد في غلس الظّلام والناس نيام:" انّما يعمر مساجد الله من آمن بالّله واليوم الاخر، وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الاّ الّله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين (9)

ففي المسجد تخرّج القادة، والعلماء الاجلاء والفقهاء، ورجال الثقافة والفكر، لانّ رسالته لا تنكر في هذا المجال، وذلكم ما يعبّر عنه الشاعر (الغماري) في قصيدته على لسان المسجد.

أنا مصنع الفكر مهد الادب
وأسرار من يصنعون العجب
بمنبري الحرّ كم من خطيب
أنار الظّلام وجلى الكرب (10)

ورسالة المسجد- كما أشرنا اليها - تتجلّى في رفع منار العلم والدّعوة الى الخير، والامر بالمعروف والنّهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله، لذلك ليس بناؤه من اجل ظلم ولا شأن ظالمين، كما يحصّن الطغاة والقاصطون أنفسهم:

بناني الرسول .. وكم من بناء
بناه الطّغاة لنيل الرّتب (11)

* * *

ولقد ترك الاسلام بصماته واضحة على الفرد والمجتمع معا ودعا الى التربية الحقّة ، وتطبيق التّعاليم تطبيقا يتلاءم مع سموّ الاخلاق، وسماحة الاسلام ، وتعاليمه الواضحة التي تجلب السّعادة لكلّ البشر، وبعض هذا الذي أتينا عليه ذكرا هو ما يحاول الشّاعر (حرز الله) توضيحه في قصيدة (الفتى المسلم) وهو بعد أن يتحدّث عما يجب أن يفعله ويقوم به كل طفل مسلم :

أقوم مع الفجر لا أتواني

أسدّد ديني نظيف الثّياب (12)

ينتقل الى تعداد ما يشعر به المسلم وما يقدّمه أو يؤديه من شعائر دينيّة تهديه سواء السّبيل، وهو في كلّ ذلك يدعو الله لنفسه ولغيره بالخير، يقول :

أنا مسلم والرّسول دليلي

أرى للمشاكل أجدى الحلول (13)

فهذه الموضوعات التي تناولها الشّعراء تكاد تجتمع في الطّروحات وان اختلفت الهوامش وتباينت الاشكال ، وهو ما حاولت النقطة الاولى أن تبحثه .

- ب -

حب الوطن ، وتخليد الثّورة وتمجيد الشّهداء

لقد استأثرت هذه الاشكالية باهتمام الشّعراء الاربعة ، فوصلت القصائد لديهم الى اثنين وعشرين . ولعل السّبب في ذلك

هو أنّ الاطفال يتلقّون تعاليمهم الدينيّة السمحة عن طريق وسائل مختلفة لكنّ الحديث عن الثورة ، والتذكير بالشهداء ، وتمجيد البطولات، قلما نلقي أحدا يتحدّث عنه . وبما أنّ الطفل الصغير يتلقّى كل شيء ويسجله في مخيلته ولا يكاد ينساه ، فان الشعراء اجتهدوا في زرع هذه البذور لتنمو مع نموّ طفولتهم الفتيّة ويظلّوا متعلقين بها وقد وردت القصائد التي تدور حول هذا المحور ضمن الدّواوين التالية مرتّبة حسب الصّفحات:

	الديـــوان	عنوان القصيدة	رقم الصفحة
1	البراعم النديّة (1)	علمـي	7
2	الفرحة الخضرا(15)	أغنية للشهداء	4
	"	باسم الجزائر	6
	"	نضور نثور	8
	"	جزائر يا امنـا	10
	"	المجد للجزائر	14
	"	عشاق البيضاء	17
	"	يا أم الثّورة	25
	"	محبّة الاوطان	36
	"	بلادي	48
	"	بني الاحرار	43
	"	هات البشائر	45
	"	الامير المجاهد	51

3	حديث الفصول (16)	حلم الاوراس	5
	"	الانتصار	8
	"	علمتني بلادي	10
	"	رايتي	33
	"	لك القلب بلادي	51
4	نسمات (17)	ياموطني	24
	"	فاتح نوفمبر	27
	"	اوبريت الاعياد الوطنية	39

دراسة مجملة

من خلال القصائد التي اثبتناها بأرقام صفحاتها يتضح أنّ هذا الربّاعي قد اولى عناية قصوى الى وطنه الغالي (الجزائر) فقد تغنّى بالعلم الوطني ، وبتمجيد الثورة ، وبتخليد غرّة نوفمبر ، رمز التحرر والاباء، كما امتلأت القصائد بعاطفة جيّاشة صادقة ، تدلّ على الحبّ العارم الذي يكنّه الشّعراء لوطنهم ، وذلك ما يطبع كل قصيدة من هذه القصائد المصّنفة ضمن القسم (ب) .

واذا كانت الموضوعات متّحدة في الهدف، فانّ مضامينها طريقة تناولها مختلفة وان لم تكن متباينة فحاشا، بسبب

ما يطبع قاموس الشعراء من اتحاد لغوي تقريبا ، لكن الاكيد هو القلة والكثرة عندهم فقد خصص (العماري) أربع عشرة قصيدة كاملة من بين ثماني عشرة تؤلف الديوان ، وهو ما يجعل مجموعته تخصص للثورة الجزائرية من خلال أناشيد موجزة مختصرة تتغنى بالانتصارات وتتحدث عن المآثر من غير تسجيل تيوغرافي ، بل عن طريق أناشيد فنية . وهذه الكثرة في التغني من الشاعر بثورته تدل على صدقه وثوريته ووطنيته " حب الوطن من الايمان " والفنان الذي يضيق بوطنه وبأرضه ويعافها مؤثرا عليها وطنا آخر لاشك في أنه مهووس غير أصيل ، لان المحلية مطية الى العالمية ، والعالمية البراقة لا يدركها شاعر كان من كان الا اذا اشتهر في ارضه وبين عشيرته ، اذ ما كان لامرئ القيس أن يكون شاعر العرب لو لم يشع ذكره وبدع صيته في قبيلته التي خلد ذكر أماكنها عبر شعره ، فالصقها بفنه والصقت به وغدت أسماء (سقط اللوى ـ الدخول ـ حومل ...) كما لو حفرها الشاعر في ذاكرة كل من حفظ شعره .. فلم لا تصبح اماكن (أوراس عصفور ـ فلاوسن ـ زندل ـ الناظور ...) وغيرها تردد على كل لسان في العالم العربي ؟ ! ... انما الشيء الذي لا حظته هو أن الشعراء اكثر وعيا من أن يحصروا الثورة في مكان واحد لان ذلك يكان من قبيل الخبل في العقل لو فعلوه فالثورة كانت جارفة هادرة أصابت بشظاياها كل مكان ووصلت اشعاعاتها التسائمية الى القمم والجبال ، والروابي والنجود

والسهول والاودية ، لذلك من الخطأ أن نحصر في أماكن كما فعل امرؤ القيس، لانّ امرأ القيس كان يعبّر عن شعر ذاتيّ عاشه، أو عايشه، بينما هؤلاء الشعراء يعبّرون بموضوعيّة عما عاشه اسلافهم وآباؤهم ، سواء منهم الذين قضوا نحبهم والذين ما يبرحون ينتظرون ... هكذا تحمل هذه القصائد شماعا يفجر القرائح ويبعث في نفوس الاطفال الاعتزاز والزّهو بالاباء ، ويمنحهم سلاحا وقوة يصارعان بهما المارقين عن الوطنية أو التصدي للخونة الذين يعقون وطنهم ويتمنون لنعمائه الزّوال . واحسب أن هذه الاناشيد في مجملها صالحة للاطفال، مع الاعتراف بأنّها تتفاوت قوة وجاذبيّة وجمالا ، اذ في الوقت الذي نلفي الصياغة سهلة منساقة مع الغماري ، نجد بعض التعثّر في قصائد الشعراء الاخرين ، وذلك في نظري راجع الى التّجربة الفنّية ، فالغماري انشد قصائد عديدة ، ونظم دواوين تعدو العشرة قبل أن يكتب للاطفال ، فجاءت قصائده ناضجة مراعية المستوى الفكريّ والنّفسي ويتلوه في ذلك الشاعر حرز الله الذي هو مدّرس يخالط الاطفال ويعلم بما تهفو اليه امانيهم ...

- ج -

حب الطبيعة بمتحركها وجمادها

انّ حبّ الطبيعة خلّة وملكة تنشآن مع الانسان ، وتنموان فيه بالتوازي مع نموّه كلّما اشتد عوده واكتمل تكوينه ، وحبّ الطبيعة جبلّة تظل مع المرء فتتفتّح مع تفتح الزّهور واضطراب الارض في

اهتزاز تحمل معها كل جديد، فتخضرّ الاغصان ، وتينع الاوراق وتتفتق البراعم ، ويسري الماء في سوق الاشجاروالنّباتات عامّة ، وتنشط الجداول والاودية فتضاعف من سرعتها ومن مخزونها منسابة بين المنعرجات والضفاف متجهّة نحو آفاق أبعد وأسمى ! ...

والطبيعة : هي" المعطى ، اي كلّ ما هو خارج عن ارادة الانسان بل انّ الانسان ذاته يدخل في اطار الطبيعة باعتبار أن وجوده ككائن وجود خارج عن ارادته " (19)

وحتى تظلّ هذه الطبيعة محافظا عليها ، متعلّقا بها ، فان الشعوب تغرس حبّها في النّشء عن طريق التّغنّي بجمالها وروعة حسنها وهذا ما سلكه الشّعراء الجزائريّون الاربعة حيث خصّصوا قصائد لها مبثوثة في دواوينهم على النحو التالي :

	الدّيوان	عنوان القصيدة	رقم الصفحة
1	البراعم النديّة	شجرتي الطّيّبة	22
	" "	بين النخيل	25

2	الفرحة الخضـــراء	الطّبيعة في بلادي	19
	" "	مرحبــا بالربّيـــع	22
	" "	زيتونــة تتكلّــــم	29
3	نسمـــــــات	نسمـة الرّبيــــع	13
	"	العصفور الصغيــر	33
4	حديث الفصــول	قريتـــــــي	19
	" "	أغنيّة للشّجــرة	24

مميّزات شعر الطّبيعة الطّفلي

يمتاز شعر الطبيعة الطفلّي لدى هذا الرباعيّ بخصائص فنيّة لاتكاد توجد في المحوريـن السالفين أو المحور التالي، وفي طليعة هذه الخصائص الصّورة الفنية التي تجذب اليها السامع (الطفل) وليست الصّورة التي تعنيها هي تلك التي تنصرف الى الصّور البلاغيّة المختلفة المألوفة، وانما نريد بذلك ما يطبع الالفاظ من مظاهر الجمال والحسن، وما تسيل به الكلمات من ايحاء شعري، وماء يلقّح الروعة ويدفع بالخطاب الشعري نحو الشّلّال لينعشه الرّذاذ فيتبجّس به ضاحكا..

ومن هذا القبيل ما نجده في قصيدة (بين النخيل)(20) من صور تتسّم بالخفّة ، وتمتاز بالسّحر العنبريّ المعطّر في مثل قوله :

" بين النّخيل، فوق الخميل ، والورد يميل، مع النّسيم العليل"

انها نظرة الشاعر الى ما تكون الارض حبلى به من خيرات دفينة تجعلها تلد هذه النخيل المتواجدة فوق الخمائل ، وكأن الورد يستجيب للنسائم ، فيطفق معها في الرّقص والاهتزاز بموازاة النّخيل ، وهي صورة موفقّة تنقل الينا عالما متحرّكا بالحياة ، ونابضا بالذّوبان في هذه الطبيعة نفسها، فتزاوج هذا بذاك ، والتحمت هذه بتلك . وعلى الرّغم من أنّ المفردات تعتبر من المعجميات الجاهرة ، اذ أنّ الشاعر لم يبحث كثيرا بل استعمل ما هو مألوف- بحكم تعامله مع الاطفال - الا أنّها

كانت معبّرة تموج بالحركيّة ، وتدل على مكانيّة مألوفة ، انّها الفضاء المخضّر أو الحيّز الصّحراوي ، لكن الصّحراء لا تعني هنا القحط والمحل، بل تعني ما هو موجود فيها من مثل الواحات الجميلة المتناثرة ، وهذه الواحات فيها من الخمائل المخضرّة ما يجعل ولادة النّخيل ونموّها وسماقتها قائما. وقد اختار الشاعر لصورته ما يمكلها ويرفع عقيرتها على اترابها من البيئات الاخرى أو الفضاءات الاخرى . انّها اكتملت بوجود ورد، وكلمة ورد تعني الاختلاف في الالوان والرّوائح الزّكيـة ، فقد استعمل الشاعر (الورد) وهذه الكلمة في حدّ ذاتها تفضي الى صورة ترتسم فى الاذهان ، وتدمل جراحا أو ترفئها ... ومن من الفنانين أو الاطفال لا يهتزّ لهذه الكلمة التى تحمل فى مدلولها عالما مليئا بالاحلام ، مثيرا للمشاعر، مضفيا جمالا وحبورا ولذاذة فى التّلفظ بالكلمة ؟! ... انّها حبرة الحاضر ، والماضى،والمستقبل اذ أنّ كلمة " الورد" لاتتقيّد بزمان ، وهى أيضا لا تختلف فى بهائها ورونقها من مكان الى مكان ، ومن شخص الى شخص، ومن وطن الى آخر ، ومن جنسية الى أخرى ... انها بدون زمان ومكان ... الورد محبّب الى النفوس هنا في الجزائر وهناك فى المغرب، هنالك فى بريطانيا أو فرنسا ، وثمّة فى اليونان أو اليابان!.. انه رمز للحبّ، والصّداقة ، والوفاء ، والاخلاص، والطهارة ، والنقاء والصّفاء ... ورموزه مختلفة ما بين الاحمر والابيض، والاصفر والبنفسجيّ، والبرتقالي وغيرها من الالوان التي خلقها اللّه

والتي صارت رموزا لمظاهر المجتمع، وهي تعبّر عنه حسب المعتقدات التي لها صلة بموروثات أسطوريّة أو شعبيّة عريقة يعسر التخلّص منها .. وفي الحالات جميعا يظلّ الورد هو الورد، والانسان ،هو الانسان لايكاد أحدهما ينفصل عن الاخر.

ويقول الشاعر (الغماري) في قصيدة " الطبيعة في بلادي ":

أطيارها تغنّي	في الرّوض الف لحن
وزهرها البديع	يزهى به الرّبيع
أنسامه اللّطيفة	وروحه الخفيفة
تغدو مع الطّيور	فرحانة بالنّور (21)

في هذه الابيات أو النّصوص الشعرية نلاحظ التقارب في المضمون ، ولا سيما أنّ حسناوات البستان وغيد الحديقة يتغنى بمحاسنهنّ الشّاعر هنا ايضا ، وأعني بها الزّهور الفوّاحة التي تزيّن هذا الفضاء الارضي ! والخلاف بين ما رأيناه قبل حين وما نسجّله الان ، هو أنّ الشّاعر هناك راوح بين النّخيل والورد والنّسائم ، بينما هنا ألف صحبة وفاء بين الاطيار المنشدة التي تغرّد على أفنان الباسقات في الرّياض ، وبين الزّهر الذي يطرّز المكان لينتقل الى الزّمان نفسه ، فالربيع اطار لصورة تحوي الزّهر والطّير والنّسيم ، وعن طريق هذا الثلاثيّ يتبدّل العالم ويتغيّر ، وينتقل من جفاف وموت وقتامة الى سقي واخضرار وحياة ومرح . حسبنا أن يكون الرّبيع موجودا وان يقبل

أو يأتي حينه لتسرح النفوس العطشى في السرور بعيدا ، ولتتوق الى أيام مليئات بالزّهو والاعراس المزدوجة للانسان ، والنبات والحيوان... الربيع رمز للشباب، وأمل للارض التي تظلّ تنتظره حينا من الدّهر ليبعث فيها الحياة ، ويضفي عليها الحركة والحبو والازدهار.. كلّ ما فيها يكشف عن رغبته في اظهار ما كان يخبئه ويختزنه : فالجداول تنساب عذبة في خريرها والطّيور تغنّي رائعة في شدوها ، والغاب تخضرّ ساحرة في لونها ، والزّهور تعبق ناشرة أريجها على حافات الطرق، وجنبات الحقول ، وأطراف الحدائق والبساتين !

واذا كان الامر على النّحو الذي ذكرناه بالنّسبة لكل كائن حيّ ، فكيف يكون الحال بالقياس الى الاطفال الذين ينتظرون بشغف كبير مقدم هذا الفصل ليستكشفوا فيه الحياة على حقيقتها ، حياة الشباب والمرح والنشاط وليستيقنوا أنّ الارض نفسها تتجدّد في مثل هذا الفصل وترتدي حللا سندسيّة تستقبل الربيع !.

- د -

حبّ المدرسة وما ينضوي تحت لوائها

لقد تناول الشّعراء في المحاور الثلاثة السابقة كل ما يخدم الطفل ويزرع فيه الاستمساك بثوابته العربيّة الاسلامية، ولكنهم يعلمون بأنّ المدرسة هي التي تصنع الاجيال، وتستكشف العباقرة

والفنانين والمخترعين ، لذلك لم يتوانوا في خطابهم الشّعري الموجّه الى الاطفال في أنّ يتناولوا بنى تحرصها في الموضوعات التالية :

	الديوان	عنوان القصيدة	رقم الصفحة
1	البراعم النديّة	مدرستي	16
2	نسمات	سلاحنا بالعلم	5
	"	حوار بين المجتهد والكسول	46
3	الفرحة الخضراء	يا خير اللغات	53

وأبرز ملاحظة تستوجب الاشارة ، هي أنّ ديوان (حرز الله) يخلو من الحديث عن المدرسة وما في حكمها ، لذلك ترانا قد استشهدنا بنماذج لثلاثة من بين الرباعي بعدما ألفنا أن تكون النماذج رباعيّة .

وفي هذه الموضوعات ما يغري بالتوقف بعضها كقصيدة " يا خير اللغات " (22) التي يبرز فيها الشاعر حبّه وهيامه بل وعشقه لهذه اللغة العربية الغالية التي يتكالب الاعداء داخليا وخارجيا على محاربتها باذلين في سبيل ذلك النفس والنفيس، وأنا أكتب هذا التحليل بين يديّ جريدة الشعب (23)

وبصفحتها الثانية حوار مع أحد الاعضاء الذين يطمحون الى تأسيس حزب، والغرابة ليست في تأسيس هذا الحزب أو ذاك ، وما دام أن كل من هبّ ودبّ وكل من لم يجد عملا يقوم به صار يطمح الى تلهية نفسه بالبحث عن شيء ما يشغله ويملأ فراغه ، ولكنّ المصيبة هنا والتي يندي لها جبين كل ذي ضمير حي ، هي الدّعوة الى تدريس ما يسمى بالامازيغية وبالحروف اللاتينية في جميع مراحل التعليم، وترسيم" الفرنسيّة" وابعاد الاسلام من حياتنا اليومية والسياسية والتشريعيّة الى غير ذلك من الهذيان الذي يفضي الى الغثيان ، والذي يصّير صاحبه هستيريا مخبولا !... ولعل ما اطمع أعداء العربية فيها هو السكوت الجبان ، والموقف المتخاذل الذي يقفه أحرار اللغة وأحبّاء العربية ... انّهم يخافون أو يحتقرون دعاة الفرنسية والبربرة ، ولكن الاعداء لا يتورّعون في التهيء لانفسهم ولمشاريعهم ولسخافاتهم سرّا وعلنا.

وحتى لا أذهب بعيدا ، فلأعد الى القصيد المذكور، حيث تجد الشاعر يعلن حبه واعتزازه بلغته ويسميها خير اللغات وانها لكذلك مادام قد ورد في الاثر : " أحبوّا العرب لثلاث: لانّي عربيّ ولغة القرآن عربيّة ، ولسان أهل الجنة عربيّ.

وفي القصيد تعشّق للغة ، وحبّ عارم متدفق نحوها، يدل على اعتزاز المرسل وتقديره لها ، وهو ما يروم أن يزرعه في نفوس النشء أو المرسل اليه حيث يقول:

أهواك يا خير اللغـــــا ت، وأعشق الضّاد المبيـن (24)

ثم ينبّه بأنـه لن يغترّ بما يدعو اليـه دعاة التغريـــب (بالغيـن المعجمة) وأنصـار التّبربر أو التّعبيـن أو التّنجلز بصـــورة عامـــة :

أهواك.. لا الغريب بمنعنـي.. ولا الحرف الهجيـن (25)

ثم يوضّح الشاعر بأنـه يهوى هـذه اللغـة الجميلـة لانّها لغـة الرّسالـة النّبويـــة :

لغة الرسالـة .. ما أجلّ اسم الرّسالـة والاميـن ! (26)

ويشجـب الشّاعـر ويشهـر بالافكـار المستوردة ، والتي تزعـم بـــأن العربيّة لا تصلح لغـة للعلـم والتكنولوجيا ، ويعيّرهـم بأنهـــم أولـى أن ينعتـــوا هـم بهـذه الصفـة التـي ينسبونهـا ظلما للغتنا:

قالوا: التأخـر. قلت انتـم رمـزه يامترفيـــن
ان الحضارة هاهنـا.. الضّاد منطقهـا المبين (27)

ما اروعهـا خاتمة !... هي بمثابة (مغزى) يحفظه الاطفـــال ولا ينسونـه أبدا: " الحضارة ... المبيـن" وهي خلاصـة جميلـــة لمـا فصّلـه الشاعـر وشرحـه من أفكار على مدى الابيـات السابقة.

ومن ديوان(مسعودي) نقترح قصيدة (حوار بين المجتهـــد والكسول (28) التي يتطـرق فيهـا الى قضيّـة هامـة تخدم النشء الصغير ، عاملا على زرع روح المنافسة الشّريفـة بين الاولاد، فاضحا شرّ الكسـل وعواقبـه ، مجنّدا صفـة الاجتهـاد ومحاسنـه التـــي لا

يجدها الا مضلّ مبين ، وقد اختار لقصيدته أسلوب القصّة فجاءت قصصيّة أو ما يعبّرعنه بالشعر القصصي المسرحي الذي يكون أبعد تأثيرا وأقوى تقديرا .. وبعد أن يقدّم لقصيدته الحواريّة بأنّ المجتهد يعرض على الكسول الذهاب الى المدرسة فيرفض، لانّه يؤثر التّلاهي والخمول على الجد والعمل ، يقول على لسان المجتهد :

وقت الدّراسة يقترب هيّا لنقرأ درسا (29)

لكن الكسول لا يهتمّ بالوقت، ولا ميل عنده لما يرغب فيه المجتهد لذلك يجيبه :

قرّرت أن ابقى وحدي، أسير في كلّ شارع (30)

وفي آخر القصيدة ، يحوّل الشاعر الحديث نحو وجهته الصحيحة لئلاّ يطمئن الصغار أو يهفوا الى ما يفعله الكسول ، فيجعل هذا الولد الضائع الممتنع عن الدراسة يقرّ بذنبه ، ويعترف بخطئه ، شاكرا للمجتهد نصحه ، وثائبا الى رشده ، ليشارك المجتهد الدّروس، ويؤلّف معه حلقة دراسيّة ينطلق منها الضّياء نحو الدّيجور ليتلفه ويزيله ، ولكنّ شعور الكسول بجريرته جاء متأخرا ، لذلك راح يعضّ أنامله نادما من حيث لم ينفعه هذا النّدم في شيء .

وأخيرا ، فقد استطاع الشّعراء الاربعة أن يوصلوا الى الطفل ما يتسلّح به في حياته من خلال الموضوعاتيّة المشتركة لهم والتي

دارت حول محور كبير أو موضوع كبير هو (الحبّ) للّه ، وللوطن وللطبيعة ، وللبيئة المدرسيّة وهو ما حاول هذا الفصل الاول ان يكشف عن بعض جوانبه الخفيّة من غير أن يزعم لنفسه الشّمول أو الاستيفاء .

هوامش الفصل الاول

1ـ الدّواوين هي كالتالي حسب تاريخ صدورها :

- مصطفى محمد الغماري : الفرحة الخضراء .
- محمد ناصر : البراعم النديّة
- يحيى مسعودي : نسمات
- بوزيد حرزالله : حديث الفصول

2ـ تبلغ هذه القصائد احدى وستين

3ـ سورة آل عمران ، الاية : 190

4ـ سورة البقرة ، الاية : 164

5ـ سورة الاسراء، الاية 44

6ـ سورة يونس، الاية : 128

7ـ يحيى مسعودي : حديث الفصول ، ص: 8

8ـ م . ن. . ص: 8

9ـ سورة التّوبة ، الاية : 18

10ـ مسعودي : م . ن. ص :39

11 ـ م . ن. ص: 41

12ـ حرز الله : حديث الفصول ، ص:30

13ـ م . ن.ص: 31

14ـ شعر : محمد ناصر

15ـ شعر : مصطفى الغماري

16ـ شعـر : بوزيد حرز الله

17ـ شعر : يحيى مسعودي

18ـ اسماء جبال كانت حصنا حصينا للثوار الجزائريين غداة ثورة الفاتح من نوفمبر 1954.

19ـ ندوة بالمغرب الشرقي بين الماضي والحاضر ايام 13،14،15 مارس 1986 ص: 461

20ـ للشاعر محمد ناصر

21ـ الفرحة الخضراء، ص: 19

22ـ من ديوان الفرحة الخضراء ، ص: 53

23ـ الصادرة بيوم الاحد 11شعبان 1409هـ/19 مارس1989ع.7849

24ـ ص: 53

25ـ ص: 53

26ـ ص: 53

27ـ ص: 54

28ـ ص:46

29ـ يحيى مسعودي : نسمات، ص: 46

30ـ نفسه ، ص: 47

الفصل الثاني

الصّورة الفّنية وخصائصها المشتركة في شعر الطّفولة

أ- خصائص الصورة في شعر الطّفولة

- الصورة في شعر الغماري
- الصورة في شعر حرز الله
- الصّورة في شعر مسعودي

ب- الخصائص المشتركة للصّورة الفّنيّة لدى الرباعي:

أ- الوردوما في حكمه مما له صفة الشّذى

ب- الماء وما في حكمه

ج - التشّجير وما يندرج تحته من صفات الاخضرار

د - الثّورة وما يدخل تحتها

هـ - الحيوانات والطّيور وغيرها .

أ- خصائص الصّورة في شعر الطفولة

بداءة بدء ، يجدر التّنويه بأنّ الصّورة ليست جديدة من حيث التوظيف ولكنها قد تكون جديدة من حيث المصطلح كمصطلح والاية على ذلك أنّ التصوير الفني قد تعرض له النقاد منذ القديم من أمثال(ابي حازم القرطاجي) ولكنّ التناول بلا ريب يختلف ما بين ناقد قديم وناقد حديث (1) ومهما يكن ، فانّ الزعم بانعدام الصورة تماما في الادب العربي القديم زعم باطل يدلّ على عدم التّروّي في الحكم والاستنباط ، لان هذا النوع من التنميق الاسلوبي متوفّر في الادب القديم مثلما هو ماثل في الادب الحديث، وهي أيضا ليست مقصورة على الشّعر وحده ، ولكنّا نلفيها كذلك في أجناس أدبيّة أخراة ، ولا سيما في القّصة القصيرة والرّواية اللتين تطفحان غالبا بروعة التصوير ودقة التعبير . (2)

وعلينا أنّ ننبّه بأنّ البحث في الصّورة لا نعني به ما يحتفي بالبلاغة العربية وقواعدها - كما اشرنا اليه في الفصل الاول - وعلينا أن نعترف أيضا بأنّ الصورة الفنية التي كنا نودّ أن نتحقق في هذه الدّواوين لاتكاد توجد والسبب بسيط ، وهو أنّ هذه الصّورة يكون مجالها أرحب في شعر الكبار، لانّ شعر الطّفولة ان لجأ فيه الشعراء الى اطالة باعهم يعسر عليهم تحقيق نتائجهم التي يرومون التوصّل اليها !..

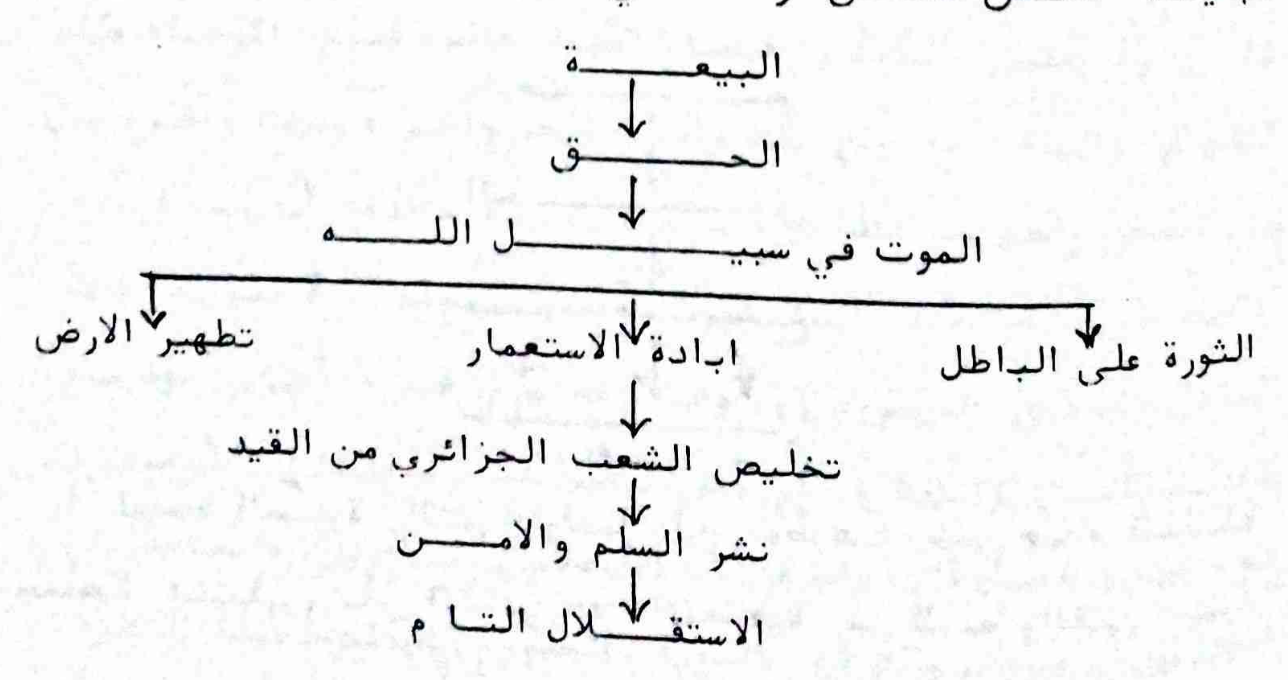
وهكذا سيلاحظ القاريء أنّ استشهادنا كان بجمل قليلة ، ولكن هذا القليل يمثّل بحق ماورد في شعر الرباعي من صور فنّية ومن الصّور التي نحسب انها تفرض نفسها أكثر قول الغماري:

ـ 1 ـ

وبايعتم الحق والحقّ صوت

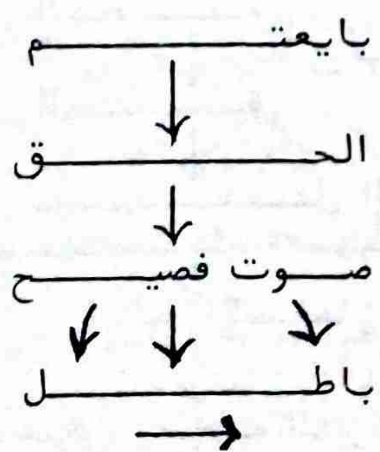
فصيح .. اذا باطل جمجما (3)

وأوّل ما يسترعي الانتباه في هذا البيت ، هو كلمة " المبايعة" فهي المفتاح السّحريّ الذي يفكّ كلّ الالغاز ، ويبعد كلّ الشّكوك.. تعني كلمة " المبايعة" بالنسبة للغة التعهّد والالتزام بالطّاعة والولاء، والطّاعة والعهد يفرضان على المتعهّد أن يقدّم نفسه رخيصة في سبيل هذا الذي عاهده وشهد له بالمبايعة .. والمبايعة هنا اسمى وأرقى وأرفع !... انّها قمّة القمم مادامت لا تنصرف الى مبايعة شخص لشخص، وانما هي مبايعة خلود لخلود:



هكذا تظلّ صورة " مبايعة " جليّة لانها رمز للموت من أجل الحقّ، وسقوط في النار حفاظا على هذا العهد، وجبرا لما كسر من تاريخ هذه الامّة ، وما زرع من خز عبلات تغريبيّة وتسميحيّة فالمبايعة تطهير، واعادة لكتابة تاريخ الامّة بصفحات بيض بعيدة كلّ البعد عن رجس الفرنسة والهواجس التي يحلم بها بعض المرضى باحياء اللهجات المحليّة الميّتة بدعوى دراسة الثّقافات الشعبية وما تفضي اليه من هتر وسخف !

لقد استطاع الشاعر أن يبعث ارتعاشة في السامع عن طريق توظيفه لكلمة (بايعتم) ولكن الصّورة وحدها تظلّ قاصرة عن التأثير فالمبايعة ـ كما أوضحنا آنفا ـ قد ينصرف معناها الى مبايعة ملك ظالم ، أو رئيس جائر، أو قائد عسكري مستبدّ لكنّ ربطها بكلمة" الحق " قد أزال كل افتراض والتباس، وأضفى على الصّورة ثوبا قشيبا ، وطبع وجهها بطابع وضيء :



فهذه الصّورة التي حاولنا أن نؤطّرها ضمن هذه السّلسلة تجعلنا نستيقن بأنّ الشّاعر قد اعتصرها من قلبه والقى بها

فاكهة حلوة المذاق الى اطفال أبرياء يحبّهم حبّاجماويأمل أن تصير البذور التي يزرعها في حقول أفكارهم بعد مدة وجيزة زرعا يانعا ونبتا مريعا .. وعلينا أن نؤكد تارة أخرى بأنّ الصورة اكتملت اكثر بعدما ربطت كلمة " بايعتم بصورة" الحق " لانّ هذه الصّورة تنصرف الى مداليل لا تحصى ولا تعدّ، فهي تذكرة بقوله تعالى :" وقل جاء الحقّ وزهق الباطل، انّ الباطل كان زهوقا " (4) وهذه الاية الكريمة وحدها تاريخ كامل شامخ يمتدّ عمره الى أربعة عشر قرنا فقد هدّ الرسول (صلى الله عليه وسلم) الاصنام مشيرا اليها بقضيب في يده وهو يردّد الاية المشار اليها ...

والحق هو ما ينشده المستضعفون ازاء الاقوياء المتعنتين والحق هو ما يطلبه المظلومون المقهورون ازاء أعدائهم الجبابرة الظّالمين... فالصّورة - كما يتضّح - لا ترتبط بزمان ولا مكان ولا يمكن التّحكّم فيها لانّها عالم فسيح الارجاء ،كثير التّجوال والتنقل ما بين بلد وآخر، وبحر وآخر ، وبيت وآخر، بل بين شخص وآخر.. فالصورة قائمة مديدة خالدة أبديّة ! ... والاية على ذلك انّه أبدا قويّ الصّوت مجلجله ، لا تسكته بحة الباطل المدخور المهزوم !.. وهذه نفسها صورة أخرى توضح فاعليه الحق وانتصاره في آخر المطاف ولو بدا الباطل هو صاحب السيادة ، وهو مطلب القاصطين الكافرين والمنافقين المفترين، وهومامنح هذه الصّورة الخلود، ويجعلها أبدا القطب

الـذي تدور حوله الصّورة الجزئيـة الاخـراة التي تشتـرك كلّهـا في البيت، ولكنهـا تظلّ قاصرة عـن أن تبلغـه أو تنـال منــه انّهـا صورة الاقـزام امام عملاق، ولا سيّمـا انهـا تنتهـي بنهايـة طبيعيـة ضافرة وهي انتصـار الحـق على البـاطل ودحره الى الابد !.

ـ 2 ـ

وكنتم على الكافرين سعيرا   ولحتم بآفاقنـا انجمـا (5)

يلاحظ أنّ الشّطر الاول ليس كلّه صـورة ، وانما ثمّة كلمـة واحـدة هـي :" سعيرا " وهو ما يجعل الشّطر شديد الصّلة بسابقـه فيكـون التّصوّر كالتالـي :

المبايعـــة
↓
الاستشهاد في سبيـل اللـــه
↓ الالام | ↓ تحريم الوطـــن | ↓ الدماءوالدّموع
↓
ابقاء النـار واستعارهـا في الوطـــن
↓
احراق الكافرين بسعيـر الثّورة ولهيبهـا
↓
خسوهم فيهـا وصياحهم دون جدوي(دحر البـاطل)
↓
الفرحة الكبرى وتحقيـق الاستقـــلال
↓
انتصـار الحـق وخلـود الشّهـــداء

هكذا تبدو صورة " السّعير " قوية ملتهبة ، مخيفة للملاحدة والكفرة ، فقد رهّب الله بها كل مختال كفور، وهدّد سبحانه وتعالى بها كل من رفض الخضوع والخنوع لجلالته ، وهي الصّورة التي اختارها (الغماري) لارهاب الاستعماريين الذين امتصّوا خيرات الجزائر ونهبوا كلّ ما صادفوه وما لم يصادفوه. فصورة " السّعير" قوية ماثلة أبدا لا تنجلي بسهولة ، وحسبها أن تذكر امام عاص لترتعد لها فرائصه ، ولتنفك من الخشية منها أوصاله ، لانها تعني الاحراق والشّواء، وتعني القضاء المبرم على الحياة ، فهي لفظا ودلالة وتلقيّا مصدر لاثارة الرعب والتخويف والتّهويل، هذا ان كان الامر مجرّد تلقّ وسماع ، أما عندما يصير نافذا فانّ الصّورة تتضخم وتغدو صاعقة تتنزّل على صاحبها فتحيل عينيه الى جداول من الدّموع وتفضي بحناياه الى تموّجات ممتدّة من الاحزان والحسرات بغير حدود ولا منتهى... وأحسب أنّ هذه الصّورة مركّبة لانها تحمل في دلالتها النقيض: فهي ترعيد وتهديد للكافرين ، مما ينجرّ عنه حتما مهاول والام واتراح وهي في الان ذاته سلاح لهؤلاء الشّهداء الذين قدّموا أرواحهم رخيصة في سبيل الله لينتصر الحق على الباطل.

" ولحتم بأفاقنا أنجما "

انّ عجز البيت كصدره من حيث هيمنة الصّورة الاصليّة الرئيسيّة على غيرها من الصور التابعة لها ، ذلك أنّ "انجما" هي المتصدرة الاساسية :فالصورة تنصرف الى السموّ" النجم "

وتفضي الى رفعة الشأن والقدر، "بلغ النّجم"ـ" فلاتقنع بما دون النجوم"! والنّجوم رمز الضّياء الملتمع، والشّعاع المنير الذي يضيء على العالمين.. تبقى الانجم في مدلولها وفي لفظها شيئا براقا يتهافت عليه اصحاب العزائم وذوو الطموح الاكبر... لكنّ الصّورة التي رامها الشّاعر، صورة توّاقة الى أكثر من ذلك، فالشّهداء أنجم في هذه الافاق حتى اذا كان النّجم يستمدّ ضوءه من الكواكب الاخرى، فانّ النّجوم التي يتحدث عنها الشّاعر هي في مدلولها مركز لهذه الاضواء وهي التي تنير على غيرها ليلا ونهارا!... وهذه الصورة التي اختارها الشاعر تجعلنا نتخيّل ما ينتج عن النجم أو يصاحبه:

جلسات السّمر والسّهر تحت اضواء النّجوم .. وهذه النجوم التي ترشد السّائرين باللّيل الحالك، وتهدي القوافل السّيارة الى قويم السّبيل... وتلك الصّورة تربطنا بصورة اخرى هي الشّيوع والذّيوع والخلود: الانجم ← في الافاق ← لائحة

من يتجاهل هذه النّجوم ومن ينسى صورتها ؟ .. انها تملأ الافاق ببلوجها ونورها وضيائها .. فهؤلاء الشّهداء لا ينسون، ولا تمحي تضحياتهم من أذهاننا، لانّ صورتهم متجلّية في كل حركة نتحركها، وفي كل خطوة نخطوها ..
والصّور في هذا الشطرـ كما لاحظنا ـ وردت متتابعة منتظمة لم تسبق أحداهما الاخرى مع التجوّز في بناء الجملة الشعرية بعد اعادة تركيبها .

والصورة هنا تشتمل على فضاءين يكمل كل منهما الاخر :

الاول : الافاق . أي أفق يعني الشاعر ؟ ! أفق دار بعينيها أو بلدية أو ولاية أو مقاطعة ؟ ! أي أرض تحدّ أفقه الذي تتربع على جوانبه النّجوم ؟ ... ليس هنالك أرض معيّنة ، بل انّ الفضاء الذي تحمله هذه الصورة هو فضاء العالم كلّه بمائه ويابسه ، حتى البحار لاتسعها ولا القارات الخمس، بل كل ما على الارض من ماء وهواء ونبات وشجر وحجر، وأودية وسهول ، وبشر وحيوان ! ... اليست هذه الصّورة تعني الافق بل الافاق ؟ ! ليس ثمة من يفرّ من قبضة هذا الفضاء ، فنحن جزء منه ، وكلّ ما في الوجود ذرّة منه .

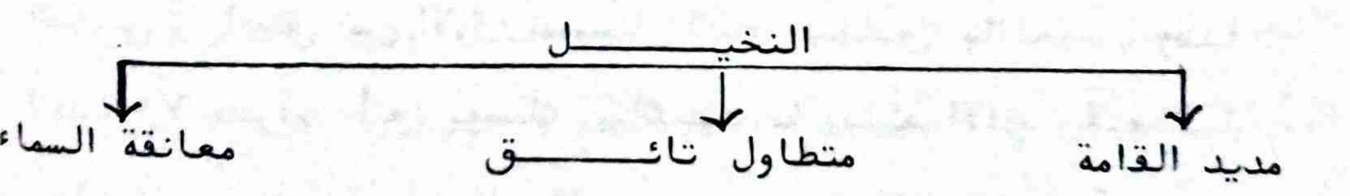
الثاني : أضيق من الاول نسبيا لانه يتعلق بالنجوم ، وهذا الفضاء لا يزعم أنه يمسك بتلابيب ما يمسكه الافق ، لانها - وان كانت تشاهد في كل مكان - فثمّة مع ذلك ما يحولّ بينها وبين الوصول الى ادراك كل ما تشتهي وتبتغي ، اذ أنك وأنت مقيم بفضاء ما ، فضاء الدار أو الشارع أو المدرسة أو السوق وغيرها ، لايظلّك الا خيال طفيف لافق النّجوم هذا ، بينا تظلّ مشدودا بقوة الى الفضاء الاول حتى وأنت تسير بسيارتك أو تسبح في بحرك ، أو تزرع في حقلك ، أو تقطف الثمار في بستانك ، أي أنت أبدا محاط بهذا الفضاء العريض الفسيح بلاحدود .

نخيلها منطلـــــق يعانـــق السّمــــــاء

والنهر فيها آيــــة للحسن والبهــــــاء

يمتدّ من جانبيـــــــ ـــه الرّملُ في استرخاء(6)

في مطلع الابيات تطغى صورة كبرى على الصّور الجزئية التي تليها ، حيث تضعف قليلا في صدر البيت الثاني وتتلاشى في عجزه لتبرز من جديد بروزا قويّا بكلمتي: " يمتدّ " و"الرمل" ذلك أن هذه القرية التي يصفها الشّاعر، قد اصطفى لها صورة فنيّة تثبتها في أذهان الاطفال فلم يلف أروع ولا أقوى ولا أجدر من الحديث عن :



انّ الانطلاقة لا تكوّن وحدها قوّة ، فهي اذا عاجزة عن فعل شيء بمفردها ، قاصرة بصفتها ، ولا يتمّ لها ذلك الا بوجود الصورة الفنية الرئيسية صورة " النخيل " فهذه الكلمة هي التي جعلت الانطلاقة ثابتة ، وأفضت بها الى الطمع في المعانقة وواضح أنّ" العناق " رمز للحنان والدّفء والوئام والالتحام والهناء ، وما عطف على ذلك من صفات الحدب ، والنشوة والاطمئنان ، انها تحمل في مدلولها كل الشحنات التي المعا

اليها ، ولذلك فانّ هذا النّخيل حتى وهو يمتدّ ويستطيل، وينمو عاليا نحو الافق في شموخ لا يفعل ذلك هباء ولا عبثا، ولكنه ينمو الى العلا من أجل أن يظفر بحبيبه النسائي عنه والقائم بدون خيوط تربط بينهما .. وهنا قد انقلبت الصورة ، فالنخيل هي التي تتوق، وهي التي تشتاق ، وهي التي تتحرّق وتضاعف من انمائها وتتعذّب عذابا مستمرّا وتداوم الحركة ، وتواظب على النشاط ... وتلكم صفات تعنّيها وتشقيها بلاريب ولكنها تجد فيها الشغف واللّذة ، لانّ هذا الذي تشقى به هو الذي يفضى بها الى السعادة . وأية سعادة أروع أو أجمل من العناق ؟ ا...

ثم يأتي البيت الموالي الذي أوضحنا بأنه لا يحتوى على صورة فنيّة شفافة ، ولكنا نجد فيه مالا نجده في السابق من وجهة فنية أخرى ، وهي وجهة الفضاء، حيث نلفي "النهر" يحمل هذا المدلول، فهو فضاء جار متحرك ، وهذا مع عدم تجاهلنا بما في البيت السّابق من فضاء ايضا في كلمة " السّماء ".

والبيت الثالث من هذا النّموذج الذي اخترناه ، لايكاد يختلف عن الاول الا قليلا من حيث التّموجّ والاتصال، فالفعل الـذي يحمل في نفسه زمانا حاضرا أو مستقبلا " يمتدّ" يتضح مدلوله وتتحدّد مهمتّه في أنه متصّل بالرّمل ، ونزعم أنّه هو الذي زرع الحياة في هذا الجماد لانّ الرمل ، وحده

مخيف ، فهو يذكر بالعواصف الصحراوية الخانقة ويلمّ الى الاغتراب والتغرب معا ، ويقرف المتلفظ به ، فيطير الى ذهنه العطش القاتل ، أو الاحتراق الملتهب ، أو الضياع !... لكنّ الصورة التي سبقته " يمتد" جعلت هذا الفضاء ينحو منحى رائعا بعيدا عن كل ما يمكن أن يرمى به أو يعاب عليه ، ولا سيما أنّ الشاعر اردف كلمة " استرخاء " وهذه كفيلة بتحويل صورته الهجينة الممجوجة الى صورة غرّاء جميلة .. انّ الرمل نفسه في هذه القرية وديع لطيف رخاء ، وليس جافا يتناثر رمضاء محرقة ، وينزو بعذاب حميم يسلطه على كل من يطوءه أو يسير على ظهره ...

هكذا نلفي الصّورة في النموذج الثالث متكاملة ، كل واحدة تكمل صاحبتها ، وتسند ظهر قرينتها.

- 4 -

ياجدول المياه ينساب في الصخور
يانسمة عليلة تلامس الغدير (7)

تبدو الصّورة في هذين البيتين بسيطة غير مركّبة والواقع أنه قد أعيانا البحث في العثور على صورة تكون أجمل وأروع بالنسبة للشاعر " مسعودي " دون جدوى ، وقد تكون العلّة في برودة الصّورة وقلّتها لديه ، هي التّجربة الضّحلة التي لمّا تتبلور بعد ... ولعله أول ديوان يكتبه ، أو أولّ شعر ينظمه

ولقد تبين لنا أنّ الكتابة للا فال (خطابا شعريا أونثريا)ليست من اليسر، وهكذا تبدو الصّورة مهلهلة معككة لم يتعمق خطابها ولم ينفذ الى النفوس.

جدول المياه ← ينساب ← الصخور

نسمة عليلة ← تلامس ← الغدير

نلاحظ الفضاء الذي يحمله الجدول ، والحركة التي يحدثها في سيلانه يغضّ النظر عن التّركيب الجمليّ غير المستقيم ، لان الاولى استعمال" بين الصخور " كما أنّ الصّورة قد قرّبت من أذهان الاطفال نسبيا وان ظلوا عاجزين عن ادراك ملامسة النسيم للغدير اذ أنّ هذا الغموض سيزول عندهم بمرور الوقت ونمو معلوماتهم وثراء ثقافتهم . وليس هذا الامر هو الذي نروم بحثه الان ، فانّ له مجالا آخر، ولكنا نبقى في تشريح هذه الصورة التي نؤكد أنها لا تتمتّع بكل خصائص الفنّ التي لمسناها في صورة الشّعراء الاخرين من الذين أخضعناهم للدّراسة ، ولكنّ هذا لا يمنع من أنّ التّصور الذي يصحب تمثيلنا للجدول المنساب، والنّسمة العليلة تحرّك مياه الغدير فما هنا :(الجدول ـ النسيم) كلاهما متحرك ، بل كلاهما محرّك .فالجدول ينطلق في صفائه وخرير أمواهه دائب لا يتوقف . وهو في كلّ ذلك منطلق من بين الصّخور مما يوحي بأنّ ماءه عذب نمير ... والنسيم العليل الذي يداعب النفوس برخائه وطيب هوائه صبحا

وأصيلا أو مساء لم تقتصر مهمته على ما ذكر فحسب، بل لـه مهمة أخراة ، وهي ملامسة الغدير وتحريكه في لطف ورفق ولين جميعا .

ـ 5 ـ

وجهك السّمح روضة سندسيّة فاض بالحبّ والحنان عليّه (8)

هذا خطاب شعريّ موجه الى الامّ، أغلى كلمة يتفوه بها فم وحسبك أن تضمّ الكلمة بين شفتيك لتصبح هذه الامّ مهيمنة على كلّ ما حولك ، وقائمة فوق كلّ تخيّلاتك: الامّ صورة للخصب والنّماء، والصّدق والوفاء ، والعطف والاخلاص... الامّ هي التي تعلّم وتربّي ، وتنمّي.. هي التي تعنى بالبذور حتى تصير فاكهة ناضجة.. هي التي تغذّي الوطنيّة ، وتدفع الى الثورة على أعداء الانسانيّة ...

لن أنتهي من سرد ما تحدثه هذه الصّورة في مخيّلة أي واحد (مولود) في هذا الوجود. لذلك أعود الى ما يقوله الشاعر من وصف لها حيث نلفي أنّه قد اتى صورا تتضح حسب الشّكل التّالي:

المرسل: الامّ ← الوجه السّمح ← روضة سندسّية
المرسل اليه : الولد ← الحنان والحبّ فائضان عليه

من الوجه اذا ، تنطلق السّماحة ، والوجه لا يمكن له أن يخفي ماوراءه ، مما يجعلنا نعتقد بأنّ اهتيار صورة الوجه كان لغرض فنيّ، لانّ جسمنا له مرآة ، وما مرآته الا الوجه الذي يعكس

السّرور والمرح والحزن والالم ، لذلك يقول الله تعالى: " وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة . ووجوه يومئذ باسرة تظنّ أن يفعل بها فاقرة " (9)

هذه الصّورة الفنيّة تعكس الشّحنة الهائلة التي أفرغها الشّاعر في هذا البيت ، وهي تمثّل وحدها السّلسلة (المفتاح) التي تربط حلقها سائر الصّور الاخرى : " وجهك السمح " وأي وصف أبدع أو الطف السّماح ؟ (س.م.ح) مادّة تكون منطلقا الى فيض من الخيرات لا يغيض، فهي تفضي الى الكرم ، والجود، والتضحية وأشياء كثيرة .. وممّا يزيد في توهّج هذه الصّورة واشراقتها وفاعليتها أنّ الوجه قد استحال روضة سندسيّة ، بكل ما في الرّوض من لطف واخضرار، وفواكه ، وثمار ورياحين، وزهور، فان صادف هذا الرّوض قطرا وماء ازداد ايناعا وبهجة تسرّ الناظرين !.. وقد طفح هذا الوجه بالحبّ والحنان حتى فاض على المرسل اليه ، فالمرسل هنا يتعذّب ويشقى من أجل أن يستمتع المرسل اليه بمختلف النّعم ، ويزداد الامر وضوحا في هذه الصّورة حين يركبّها الشاعر في البيت االتالي حسب هذا التّوجّه :

الامّ	كم تقلبت	فوق	شوك	سهاد	ـ العذاب والعناء
الولد	لاعب	المنام	عذبا	هنيا	ـ الراحة التّامة

وعلينا الان أن نعود الى ابراز الصّورة التي وردت في هذا البيت حيث انّ الام تتقلّب، والتّقلب يكون في النعيم كما

يكون في الجحيم ، ولكن الشّاعر لم يترك الامر معلّقا ، بل أضاف الى الفعل الذي يدلّ على الزّمن الماضي نحويّا ولكنّه منصرف دلاليّا الى الحاضر والمستقبل ، أضاف عبارة " فوق شوك" وهذه الالام حاصلة للامّ، طالما كانت هناك حياة ابنها وحياتها هي لقد وضعها الشّاعر داخل أتون ساخن لا تهدأ معه أيامها: هي تخشى عليه أبدا منذ أن يكون جنينا الى أن يصير شيخا لا فرق ، فهو طفل في التّسعين ، وهي أبدا أمّ مابقيت حية ترزق !... هو يهنأ بالراحة ، وقد لا يحسّ اطلاقا بما تحسّه هي ، بل هو ناء عن هذا الشّعور بلاريب، وهي تحيا بعقلها وبفكرها معه حتى لو كان متزوجّا وأبا لاحفاد لها..

ب - الخصائص المشتركة للصورة الفنية لدى الرّباعي

لقد تناولنا عبر الصفحات السابقة طائفة من الصّور الفنية التي نعتقد أنّها تمثل بصدق وبحق هذا الرباعي علما بأنّ ما أثبتناه لا يعدو أن يكون عينّة فحسب، لانّ هناك صورا فنيّة مبثوثة عبر الخطاب الشّعري للرباعي ، ولكنّ الذي استشهدنا به اعتبرناه نموذجا نقيم عليه ارضيّة دراستنا..

وقد خلص لنا أنّ ثمة خصائص مشتركة للصّورة الفنّية لدى هؤلاء الشّعراء يمكن ادراجها ضمن هذه المحاور:

أ- الورد والزّهر وما في حكمهما ممّا له صفة العطر والشّذى:
ونعني بالزهر والورد كل ما له صفة الشذي والعطر ، وكل ما يعبق

الجوّ، وقد تناول ذلك كلّه الشّعراء الاربعة ضمن موضوعات عديدة من خلال دواوينهم ، فتردّدت هذه الالسنيّة في خطابهم صراحا أو مكنّى عنها ، وقد وردت كالتالي:

ـ 1 ـ

- في الروض ألف لحن ...
- وزهورها البديع...
- والزهر في البستان مختلف الالوان
- من ابيض وأحمر قان ، ولون اخضر
- شقائق النعمان والرّوح والرّيحان
- ويزهر في شفتينا القصيد
- في المروج العذاب...
- واقطفوا يارفاق وردة من يديه
- ويذوب العبير
- لادرب يزهر لا ورود
- لا، للتآمر، في حماك يريد قتل الياسمين (10)

ـ 2 ـ

- روضة سندسيّة
- زرعت الورد في خطواتي
- يحيل النهار وردا
- أنت حولت بيتنا بجنابك روضة عطرها صفاء جنانك

- والزّهر احاكي بسمته
- في ثنايا الزهــــر
- ناثرا للزهـــــور
- والورد يميـــــل
- فالورد يبســـم
- والزّهر يهدي الشذى بين النخيل
- ما توأم الزهرة الزّاهيـة (11)

-3-

- كل روضة فيحــــاء
- زهورا في رباك اليوم انمو   اذا هبّ النسيم فتوح عطرا
- كالطّل فوق الوردة
- تزهر ضيعـة الزّعتر
- ويعبق كالورد بين الحقول
- تغمر الكون عبيــــر
- فانتشينا وحملنــا   لك في العيد الزهور (12)

-4-

- يابرعم الزهــــور ...
- يابستانــا جميــلا   ينفح بالعطور (13)

ويتجلى بينا أنّ العناصر الالسنية التي اختصّ بها مطاب هذا الرباعي كلها تشتمل على عنصر الورد والزّهر وما اندرج تحتهما وقد بدا لنا أنّ النّص الشّعريّ (1) كان أكثر احتفالا بهذا العنصر يليه (2) فالثالث، ثم الرابع بأضأل نسبة وأفرقها.. كما نلاحظ أن العنصر (2) قد سمّي الاشياء بمسمياتها ، فذكر كلمة (الورد، والزهر، والزهرة) بينما انصرف العنصر الالسني(1) الى مشتقات الزّهر ، فذكر (شقائق النّعمان- الروح والرّيحان - الياسمين ...)

ب- الماء وما في حكمه :

ان هذه الصفة هي التي تصدّرت الصّفات الاخرى التي تتفرّع عنها ، ونعني بها صفات: السّيلان، والذّوبان، وغيرهما وقد وردت في ديوان (الغماري) خمس مرات هي :

- 1-

- أحلى من الشّهد (بحكم السيلان والشرب)
- في مقلة البحر
- ويذوب العبير
- والموج والصخور
- وحينا أزان بماء الذّهب(14)

- 2-

بينما وردت في ديوان (ناصر) ست عشرة مرة حسب العبارات التالية :

- وأعبّ السلس من دفاق نورك (مع التجاوز عن المدلول الذي يرمي اليه الشاعر) .

- وفي النهر عرفتك
- فسبقت الدمع لطفا اذ دعوتك
- نسقيك من مهج النفوس
- فاض بالحبّ والحنان عليه
- لاعبّ المنام عذبا هنيّا
- نبع دفء بغيض فيضا سخيّا
- انتشرب غيه ندا وطني
- امتصّ رحيقي في الكتب
- وشربت الجمال من رحيق الغروب
- تلك خمر حلال تحتسيها القلوب
- من عرق مطهّر في الحرّ كم رواك !
- لحن الجداول...
- والماء يعلي الخرير بين النخيل.
- في لجة الصمت البديع على المنابع والظّلال
- بين السنابل والكروم ، ورقّة الماء الزّلال

- 3 -

وردت هذه الصفات كذلك احدى وعشرين مرة لدى الشاعر (حرز الله) حيث تأتي مرتبة كالتالي :

- هواك يطوف بي فوق عباب

- فيمسي البحر بعد المدّ جزرا

- مثل انغام المطر

- مثلما يسري مع الفجر النّدي

- انها النّبع فيها نستقي   حان ان نجعل منها الموردا

- والنهر فيها آية

- ودمع على خدّها ينزلق

- لأسْقي ثراها

- أرعاك وأسقي تربتك

- لولاك لما نزل المطر

- مثل غيث في سحاب

- كالطّلّ فوق الوردة

- كالثلج في بلادنا

- ترتوي من فؤادي

- فيمطر حبّا

- نديا تدغدغه نسمات

- أنا الغيث بعد الرعود

- لكم أرويت هذي الارض غيثا

- ردّد الوادي صداه   صافيا مثل الغدير

- لو كنا بحار...(15)

واستعملت هـذه الصفـات الالسنيّـة كذلك على لسان الشاعر (مسعودي) في اجزاء المقاطـع التاليـة خمس مرات.

- منابع للمـاء في وسط الطريـق
- الثلج في فصل الشتـــاء
- ياواحـة ظـليلـة وجـدول الميـاه
- ياجـدول الميـــاه
- تلامس الغديـــر (16)

والملاحـظ بعـد استعراض هـذه الخصائـص انهـا لم تأت دائما صفـة ألسنيـة صريحـة ، وانما قد أنابت عنهـا مدلولها أحيانـا وهكذا قد جاءت صفـات المـاء متجليّـة في (الشّهد - البحر - الذّوبان - الموج - العبّ - النهر - الدّمع - السقيّ- الفيضـان - النبع - الامتصـاص - الشرب- الخمر الحلال - العرق - الجدول - العباب - المطر - النـدي - المورد- النهـر - الغيث - الطّلّ - الثلج - الغدير - الواحـة ...) وهي صفـات تلازم المـاء والسيـل، وان لم تأت صريحـة باسمهـــا.

جـ - التشجير وما يندرج تحته من صفات الاخضرار:

ان للطبيعة لباسا تتزيـن بـه ، وزيا متميـزا ترتديـه في فصول السنـة تباعـا ، ولكنهّـا تزدان أكثر ويطغى جمالهـا في فصل الربيـع حينمـا تعبق الارض بـالرائحـة الطيبـة ، وتكتسي بألوان

من قشيب الزّهر والورد ...

وهذا ما عبّر عنه هؤلاء الشّعراء من خلال الصفات المشتركة التي قمنا برصدها .. فالخطاب الشعري اذا ، يتوجّه هذا التوجّه الالسنيّ حسب الامثلة التالية :

ـ 1 ـ

ـ والنّخل في الكثبان
ـ في المروج العذاب
ـ نبتني في الحمى
ـ بعض أوراق وعود
ـ ماأروع النخيلا ...
ـ والسهل في اخضرار (17)

ـ 2 ـ

ـ وذ ري الاغصان تدنولي بخيرك
ـ وجهك السمح روضة سندسيّة
ـ روضة عطرها صفاء حنانك
ـ جريدك الفنان ...
ـ بين النخيل ، فوق الخميل...
ـ رقص السنابل
ـ ما بين المرج الاخضر
ـ بين السّنابل والكروم (18

ـ 3 ـ

ـ نخيلها منطلق

ـ غاباتها تضم كل روضة فيحاء

ـ أغصانك تبدو لواحة

ـ افنانك خبأت الجند

ـ من ثوبك يزدان السّهل

ـ والخير تدلّى من غصنك

ـ فدونكم اسألوا عني المزارع

ـ كسوت الارض ثوبا من جناني (19)

ـ 4 ـ

ـ بقروبها تلك الاشجار

ـ لا تقلعوا الثّمار

ـ امامه الاشجار اغصانها تفّاح

ـ وحوله القطيع ينام في الاعشاب

ـ والجنّة الخضراء...

ـ يابستانا جميلا ينفح بالعطور (20)

وبعد استعراض هذه الخصائص المشتركة لصفات التشجير والاخضرار يمكن القول ان ما اثبتناه كان في معظمه نابعا من الصّفة الالسنيّة الصّريحة الاّ ما ندر، وهو ما يجعلها ذات صبغة بينة من شأنها ان تكسب المعنى قوّة وسحرا ، كما أنّ تناول

الشعراء لهذه الصفات يجعلهم يلتقون في الموضوعات، وهو ما طمح هذا البحث الى تحقيقه ورصده منذ الخطوة الاولى.

د- الثّورة وما يدخل تحتها :

لقد ظهر مصطلح الثّورة متأخرة اذ لم يعرف هذا المعنى قبل القرن العشرين تقريبا ، ولكنّ المؤكد انّ الثوار عرفوا منذ العصر الجاهلي واشتهر الصّعاليك في ذلك ، ثم كانت الدّعوة الاسلامية على يد نبيّنا محمدّ صلىّ الله عليه وسلم وما صحبها من ثورة فكرية واجتماعيّة ، بل لقد برز ثوّار كبار في العصر الاسلاميّ منهم (أبو ذرّ الغفاري) وكذلك فان هذه الكلمة تبلورت وانّ هذا المصطلح تميز أكثر وذاع وانتشر منذ تكالب الاستعمار الغربي على الدّول العربية ، فكانت ثورات وثورات، ونالت الجزائر حظها الاوفر من هذه الثورات كلها فأشعلتها نارا في وجه الاستعمار الفرنسي الحقود ، ولكنّ ذلك لم يكن سهلا ، بل استوجب ان يتضاعف جنون العنف من الاستعمار، وأن يظل الشعب ملتزما على الاصرار، فبلغ عدد الثورات نتيجة لذلك الى العشر أو يزيد فلمّا كانت غرة نوفمبر سنة 1954 م اهتزت أرجاء الجزائر من (مغنية) الى (القالة) معلنة ثورة عارمة ارتعدت لها فرائص الاستعمار، ليس في فرنسا وحدها ، بل في العالم كله لما حملته اليه الانباء من تضحيات جسام ، وبطولات نادرة ودفاعات مستميتة عن الاسلام ، وآللغة العربية ، والارض، والكرامة الانسانية ، والسّيادة الوطنية التي استرخصها أعداء الجزائر

في الوقت الراهن ، وهان عليهم ما قدمه آباؤهم وشهداؤهم ليبيعوها بثمن بخس !...

وذلكم ما جعل هؤلاء الشعراء الاربعة يتحدثون بكل وعي واخلاص عن هذه الثورة في شعر الطفولة ، ليزرعوا في النشء منذ نعومة أظافرهم جوانب من تاريخ بلادهم المشرق،وليذكروهم بأن الشهد لا يجني من غير لسع.. وهذه الثورة قد منحت هؤلاء الشعراء خصائص متميزة تنضاف الى سالفها...

هذا، وقد اجتزأنا بذكر النماذج السابقة بالنسبة للصغار المشتركة وارتأينا أن نبرز هذه الخصائص المشتركة من غير أن نستعرض الامثلة التي جاءت متلائمة مع بعضها من ديوان الى آخر درءا للملل، وابعادا للتكرار، ولكننا أبقينا على التعليق والتحليل بالنسبة لهذه الصفة والصفة الخامسة التالية .

بعد قراءتنا للدواوين الاربعة ، واستنباطنا منها كثيرا من الالسنية الثورية المشتركة ، نستطيع القيل انّ هؤلاء الشعراء قد استعملوا صفات السنية صريحة احيانا عن الثورة ، وأحيانا اخرى بما ينجم عنها آو يصاحبها أو يمهّد لها ، فكانت الالفاظ: (هو متمم - الغزاة - الكافر - شهداء الجهاد- الجهاد - العدو - سرايا - المقابر - احرار - الله أكبر- معارك - الرشاش - النار - سيف - الدم - الخالدون - المجد - الظالمون - وطن الشهادة - الامير - نفديك - نسقيك - أحمي احمرارك- الموت- نوفمبر (بصفته يمثل تاريخا عظيما في الجزائر، حيث اعلنت الثورةفي

فاتحه - يوليو (يمثل القول الفصل ، حيث تحقق الاستقلال فيه)
- السيادة - هزمنا - جنود ...)

انها صفات السنمّية مشتركة وردت في دواوين الشّعراء الاربعة وهي تؤلف في مجملها رافدا فياضا لكلمة ثورة ، اذ أنّ أيّة صفة من الصفات المذكورة تكوّن مصدرا من مصادر يمّ الثورة المتلاطم .

هـ - الحيوانات والطيور وغيرها :

لقد أدّى الحيوان دورا هامّا وأساسيّا احيانا كشخصيّة متخيّلة او اسطورية في معظم القصص المؤلوفة للاطفال ، ولقد غدّا من المألوف أن ينعت هذا الحيوان بصفة أو بأخرى تبعا لدوره في الغابة ، أو معايشته للانسان وهكذا صار الثعلب رمزا للشرّ المستطير، والحيل والتعدي، والاسد رمزا للشجاعة والاقدام ، والقرد رمزا للتضاحك والهزؤ، والارنب رمزا للغرور والاستهتار، وهكذا ... ويكون الامر أكثر جمالا وسحرا حين يتعلّق بالطيور التي يهواها الاطفال كثيرا ، ويتمنّون أو لو كانوا مثلها بأجنحة ، بل انّهم يرغبون في السّيطرة عليها وملاعبتها ووضعها كلّها في اقفاص ليتسنّى لهم ملاحظتها وممازحتها والعيش بقربها .. وذلكم ما يطبع الدّواوين الاربعة حيث تعرّض الشّعراء في خطابهم الشّعريّ لهذه الصفة الالسنيّة التي تجمع بينهم ، وهي صفة (الحيوانات والطيور والحشرات)..

وقد بدا لنا بعد القراءة المتأنية أنّ ذكر الحيوان في خطابهم الشعري جاء صريحا (الاسد- الدّب- الذئب - الخنزير- الحمير- البغال - الفأر - الكركدن - القرد - اللّيث- القطّ -الحمل..)

وكان ذكر اسماء الطيور جملة من غير تفصيل ، حيث اقتصر على ذكر الطيور- او العصفور) .

بينما لم يتعرض الشّعراء الى الحشرات الاّ من خلال النّحلة ولكنا نعتقد أنّ اقتصارهم على تلك له ما يبرّره ، أنّ هذه الحشرة اللطيفة مطيّة الى صنع الشّهد والعسل اللذيذ، ولا سيما أنّها يضرب بها المثل في الذّب عن شهدها ، وفي جدّها وكدّها وتضحيتها براحتها ليسعد الاخرون .

والخلاصة أننا حاولنا في ما سبق من النقط المعروضة أن نتطرق الى ما يكوّن الخصائص العامة للموضوعاتيّة الخطابيّة الشعريّة ، وهو ما أعان على أن يكمل كل عنصر نظيره انطلاقا من الشّذى الذي ينشره الزّهر والورد الى عنصر الماء وما في حكمه حيث تناثرت الالفاظ التي ألمفت الجداول والسّواقي ما في حكمها . وقد كان الماء - ولا يزال - أحد العوامل التي تسهم في انبات الاشجار ، وتزيين الطبيعة حين يسقي الارض ويرويها مما يجبرها على أن تنمو وتربو، ثم تبعث الى العالم بمختلف المغروسات والنباتات، وعلى هذه النباتات والاكلاء تعيش الحيوانات والطيور ، ثم هناك اخيرا موضوع الثّورة الذي كان بدوره عاملا مشتركا في خطاب الشّعراء الاربعة .

هوامش الفصل الثاني

1ـ يراجع ما كتبه الدكتور عبدالمالك مرتاض في"بنية الخطاب الشعري" ص: 70 وما بعدها

2ـ انظر رواية (محمدحيدار) : "الانفاس الاخيرة" ولا سيما صفحات 9، 12، 14، 21، 163 ودراستنا عنها (مخطوطة)

3ـ من قصيدة " اغنية للشهداء " ص: 4

4ـ سورة الاسراء الاية : 81

5ـ م . س. ص: 4

6ـ حرز الله بوزيد: حديث الفصول ، ص:17

7ـ مسعودي : نسمات، ص:33

8ـناصر : البراعم النديّة ، ص:13

9ـ سورة القيامة ـ الايات: 22، 23، 24، 25

10ـ الغماري : م . س

11ـ ناصر : م . س

12ـ حرز الله : م . س

13ـ مسعودي : م . س

14ـ م . س

15ـ حرز الله : م . س

16ـ مسعودي : م . س

أ- خصائص الفضاء

لقد بدا لنا بعد مستويات عديدة من القراءة للدواوين الاربعة أنها مفعمة بفضاء شعريّ رحب قد طبع معظم ماورد فيها ، ولا سيما ما تعلق منها ببيئة خاصّة ، أو تعرض الى مكان من الامكنة ، أو شجرة من الاشجار، أو ثمرة من الثّمار... وسنحو منحى بائنا عمّا طبقناه من قبل بالنسبة لما سنستشهد به بغية التطبيق ، حيث سنقصر القول على بعض النّماذج دون الاخرى .

1- الفضاء اللامتناهي :

واقطفوا بارفاق ... وردة من يديه

واصنعوا نجمة ... من سنا وجنتيه (1)

فالبيت الاول أو الشّطر الاول منه على الاصحّ، يموج بفضاء فيه ما فيه من قوّة الايحاء ، والزّمن " اقطفوا" وان كان يدلّ على المستقبل اصطلاحا ولغة ، فانّ المتأمل فيه جيّدا يخلص له أنّه خال من الوظيفة التي تؤديها الازمنة في علم التّصريف ذلك أنّ الصفة التي يحملها " القطف" تعني التوقّف المؤقت ازاء باقة وردية ينسجها فصل الربيع، وهذا الفصل بدوره قد صحب معه طائفة من العطور النّدية التي لا يحدّها حدّ ولا يفهيها عدّ، فالرّبيع هنا - وهو الصّورة الرائعة التي تتمخض عنها الطبيعة كلّ سنة - ليس قائما في زمن معيّن ، ولا مكان معيّن وانما هو منفلت من هذا التقييد أو التجميد !... فالشاعر

يأمر اصحابه - على لسان الطفل طبعا - بالقطف، ولكنهم
لا يفعلون ذلك بصورة متوحّشة جنونيّة ، بل يقتصرون على قطف
وردة واحدة ، تاركين الرّبيع ينطلق في فضائه العريض ليعمّ
بشذاه وبعبيره العالم كلّه ، ثم انّ الصورة هنا قد جاءت مجسّدة
" من يديه " ... واليدان تتصفّان بفضاء ، لانّهما جزء من الجسم
بصفتهما الطرفين العلويين له ، وهذا التجسيد يذكّرنا بماقاله
البحتريّ في وصف الربيع قبل قرون من الان :

أتاك الربيع الطّلق يختال ضاحكا

من الحسن حتّى كاد أن يتكلّما

وكأنّ الشّاعر رأى البيت الاول لم يعبّر تعبيرا كليّا عمّا
وراء المعنى ، فأردفه بالبيت :

واصنعوا نجمة من سنا وجنتيه

انّ الصنع لا يتأتّى الا بوجود المادّة الاساسية ، و اللبنة
الضّروريّة لذلك ، وهو ما جعل الشّاعر ينبّه بأنّ صنع النّجمة ممكن
طالما كانت هناك العوامل المساعدة على ذلك ، لكنّ هذه العوامل
ليست أسمنتنا ولا أسفلتا ولا حديدا ، وانما هي أروع وأسمى
، انها " نجمة " ... والمألوف أننا تواضعنا على أن نتلقى
من القدماء صورة النّجم في السّماء ، وان هذه الكواكب هي التي
تصنع النّور، وهي التي تضيء بواسطة الشمس كما هو ثابت علميّا
بيد أن(الغماري) يجعل النجم يصنع من نور الوجنتين ! ...

من التمـاع الحسـن ، ورونـق الشبـاب، وريّـق الصبـا ! .

وجمال هـذا الفضـاء الشعري يعـود الى مزايا ثلاث على الاقل

الاولى : ان النجم في حد ذاتـه رائع ساحر، وقد شبّهت بـه الحسـان منذ القديـم ، مع التجوّز في هـذا التشبيـه وتوفيقه أو عمـلا بـه .

الثانيـة : النور الذي صنـع منه ، وهـذا النّور في الافق يـراه ويشاهده أهل الارض والسّماء جميعـا ، ويتزوّدون منه ، فهو الذي ينيـر لهـم الظّلمـات، وهو الـذي يضيء لهـم الدّروب الكالحـة وهو الذّي يهـدي قوافلهـم انـاء الليـل واطرافـا من النهـار.

الثالثة : ارتباط النور بالخدود، وهذا معناه أنّ هـذه الخدود تحملهـا شابّة غضّة غيداء عيـطاء، والربيـع أحد أوجه الشبـاب فهو الذي يحيي الارض من بعـد مواتهـا ، ويزرع الحبور والامل فـي كل مكـان ..

وقد استطاع الشّاعر ان يجعـل فضاءه الشّعـري يقـوم علـى محوريـن يكون كلاهمـا معلميـن جماليـيـن :

الاول : فعل " اقطفوا" حيـث تنصرف هـذه الكلمـة الى الطاقـة والسحـر ، والرأفـة ، والرّقـة ، وكـل معانـي الحنـان.. فبحسـب " قطف" انه لا يصحـب الا مـع الورود والزّهور ، ثم ذكر كلمـة " وردة " وهـذا من شأنـه أن يضع القطف مع الوردة في ميزة واحدة هي ميزة الجمـال والسحـر.

الثانـــي : هو المدلول النّاتج عـن الدّال ، لانّ الشاعـر استشـــقّ سؤالا أو تساؤلا من لدن المرسـل اليه ، فأجابـه :

" واصنعـــــــــوا"

وهذه اللفظـة الالسنيـة جـواب على السؤال الضّمنيّ: ليـس القطـف من أجـل القطف أو العبث، وانما نزولا عنـد رغبـة داخليـة في التّشبّـع بـالجمال ، والتـزوّد بـالحسن ، والغرف من منابع السّحر التي يحملهـا هـذا الوجـه الفنوج البـاسـم الطّلقـات !.. ولقد أراد الشاعـر أن يكـون فضـاؤه هـذا منسرحـا طليقـا طلاقـة الوجـــه الضاحك، والورد ذي الثغـر القرنفلـي، وهي أشيـاء أضفت علـــى فضائـه جمالا آيـة في الروعـة والافتتان !

-2- التضايـق بـالفضـــاء :

يجدر الذكر الى أنّ استعمـال هـذا الفضـاء غير منتشـر فـي دواويـن الشّعـراء الاربعـة ، وذلك راجع بلاريـب الى أنّهــــم بعزوفهـم عـن الوقـوع في توظيفـه ، كانـوا يوّدون أن ينشروا في خطابهـم الشّعـريّ السّلام ويشعّـوا البهجـة والبسمـة في النفـوس بدل الالتجـاء الى التشاؤم وزرع اليأس والقنوط، لكنهـم قـــد اضطروّا أحيانـا الى أن يأتـوا هـذا الفضـاء حين تعلّق الامـــر بقضيّـة تاريخيـة ، أو حين التّصديّ الى هدم الافكار المسمومـــة التي بثهـا الاستعمـار في ذوي النّفوس المريضـة ، فصاروا أبواقا له يردّدون خبائثـه كما لو كانـوا ببغـاوات، ومن هـذا القبيـــل

قـول الشاعـر :

من بعد مالـف الضّلا	م، مواسم الدّرب السعيـد
قتل الفرنسي السـلا	م، وذبح الطّير الفريـد
جفت جداول أرضنـا	لا درب يزهر لا ورود (2)

انّ الشّاعر يصف ماضيا حالكا مثقلا بالبؤس والشّقـاء ومغلّفا بالظّلام الـذي عم يشوبه الاسود كلّ العالم ، فصار العيش صعبا ، وغدت الحياة مستحيلة قاتمة !... واذا حلّ الظّلام ضاقت الدّروب النّورانيـة التي كانت قبل قليل هنيئة مطمئنة تنشر السّناء والضّياء على كل من يلج اليها أو يصادف ناحيتها ، وذلكم ما جعل الشّاعر يحكي عن ذلك الماضي المثقل بمساويء الاستعمار، والرغبة في الانسلاخ عنه وهجره الى غيره، ولاسيّما أنّ الشاعر يردف ذلك بما ارتكبه الاستعمار الفرنسي من مجازر يندى لها الجبين، وما اقترفه من آثام . وأيّة جريمة اكبر أو أفظع من أن يردى السّلام، ويعمد الى ذبح الطيور الفريدة ؟!.. الرمز هنا واضح ، والصّورة جليّة ، لانّ الشاعر لا يروم بالطّيور الا الحرية والتحررا وكانت نتيجة ذلك كله ان جفّت الجداول والينابيع التي كانت تسقي هذه الارض الطيبة ، وتمنحها الحياة لتورق وتزهر وتثمر ، ومن الواضح أنّ ما ذكره الشاعر من حكاية عن الماضي ، وتضايق به لم يكن راجعا الى ما حدث له وحده فحسب ولكنّه راجع الى صورة الشعب الجزائري ابّان فترة الاحتلال الاجنبي البغيض، وهو يطمح الى ما يذهب عنه الغشاوة ويبدل

هذه الثورة وان لم يكشف عن ذلك صراحا، ولكنه يستشف من سياق الخطاب.

3 ـ الفضاء المتحرك

لقد ورد في دواوين الشعراء ما أطلقنا عليه " الفضاء المتحرك
ونعني به ما استعمله الشعراء في خطابهم الشعري من ألفاظ وصفات تنحو منحى التحرك والسيرورة ، فهي ضدّ القيد ، وضدّ الخمول ، وضدّ الفعل الجامد.

يا للحسن الغدير	عرفته حصاه
في الصحارى أمير	عانقته الحياة
ناشرا للزّهور	حيث حلّت خطاه (3)

انّ فضاء الغدير ملتصق بحصى مستعدّة لعزف لحون عن طريق ارتطامها بعضها ببعض، وهذا الغدير متحرك بطبعه ولا سيما اذا ما اتّصل بسواق أو جداول تحمل ماء بعيدا وتمدّد قامته الى أبعد.. انه يستطيع أن يمضي في الصّحاري بدون حدود توقفه وهو في كلّ جولته ينشر الزّهور على مختلف الاتجاهات والاماكن ، فيكون ذلك بمثابة زرع الشّذى والعطر .

ويتضح " الفضاء المتحرك " اكثر في قول الشاعر :

لغة القرآن تسري في دمي	مثلما يسري مع الفجر الندى(4)
انها النّبع فهيّا نستقي	حان أن نجعل منها المورد!(5)

لقد صدق الشاعر ! لغة القرآن حيّة متحركة طالما ظل للحياة بقاء ، فخلودها مرتفق بخلود هذا الكون ، ومادام قائما فاللغة العربيّة العزيزة قائمة ، وهو يمنح بذلك لغة القرآن دما يعلو ويهبط مع عروق الجسم بدون كلل ولا سهو ، وهذا المشراب أبدى لا ينقطع بل ينتقل من سلالة الى آخرى تماما مثلما يسري الندّى مع الفجر وهي صورة رائعة ـ كما نلاحظ ـ

ويقرن الشاعر بين اللغة العربيّة والنّبع فيرى أنّ هذه اللّغة نبع فيّاض لا ينضب، وعلى من رام أن يظلّ مرتويا غير صاد ولا عطشان أن يقبل بكل جوارحه وكيانه على هذه اللغة ، فقد آن الاوان لتكون هي موردنا الدّائم .

ـ 4ـ الفضاء المغلق:

تقليبنا المتكرّر لصفحات الدّواوين الاربعة اتاح لنا أن نخرج بهذه الميزة الفنية الواردة في الخطاب الشعري لهؤلاء فغير خاف أن صفة كهذه هي جزء من الفضاء ككل ، ولكنها في الان ذاته تستقلّ بامتيازها الخاصّ، وبطبعها الفنيّ المستقل ومن ذلك الخطاب الذي يختم الشاعر (الغماري) ديوانه به :

قالوا: التأخر.. قلت انتم رمزه . يامترفين
انّ الحضارة هاهنا.. الضّاد منطقها المبين (6)

في هذا الحوار الالسنيّ الذي يجريه الشاعر بينه وبين شخصيّة ورقيّة تمثّل المجتمع الذي يزعم أنه متقدّم متحضّر، وهو

في واقع الامر متخلّف مقصّر... وأيّ تخلّف فكريّ أفظع أو أفدح ممّن يدّعي ذلك وهو يعزو كلّ تقدّم الى الاجنبيّ، والى لغته الدّخيلة التي يذبّ عنها بكل قواه ، لذلك وردت كلمة "التأخر" لتقلق وتحدث ثورة قوية وتسبب ازعاجا ، فقد انقلب الامر وانعكست التّهمة بعد ما أرجع الشاعر الكرّة الى شباك الخصم :

" أنتم رمزه . يامترفين "

وهي عبارة متوبلة كافية لافحام أولئك الناقمين على لغتهم وقيمهم وحضارتهم ، أولئك الذين لا يعتزّون الا بما هو أجنبيّ دخيل !..

وأيّ منكر أكبر وأيّة طامة أشدّ هولا من هذا الصّنف القزم المنحطّ الى أسفل الدّركات ؟!.. ولقد جاء هذا الخطاب لينسخ قوما ويمسخ مفهوما ويصل به الى ما أراد. ومن هنا قلبت هذه الصّفة الالسنيّة المفاهيم الخاطئة ، وصحّحت التفكير الاعرج الذي كان يسود.. وقد وظّف الشاعر الايجاز مجيبا ايّاهم من غير أن يثقل البيت بكثرة الالفاظ ، فانجاز الفضاء وانغلق على شكل دائرة ، ثم وضع كلّ شيء داخل محيطه : " أنتم رمزه " فادا هم يمسكون بتلابيبهم ويوضعون داخل هذه الصفة الممقوتة ، ويحشرون فيما عبّرنا عنه بـالفضاء المغلق.

ان الشاعر يشطب كلّ ما تحويه الافكار الخاطئة ، وما تعتبره زينة وبهاء ليجعلها مرغمة على الولوج الى عالم أراده هو

عالم الاصالة والعروبة والاعتزاز بما هو عربيّ اللّسان ، فيستعمل اسم الاشارة الدّال على القرب والحصر والقسر مسبقا اياه بهاء التنبيه لاستقطاب الانظار ، وجذب الالباب نحو خطابه :

" انّ الحضارة هاهنـــا "

فكلمة " هاهنا" جعلت الفضاء ينحصر لخدمة المعنى السّامي الذي يريده الشاعر ويطمح الى تحقيقه ، ولا سيما بعدما يختم دعوته بقوله :

" الضاد.. منطقها المبين "

فقد جاء البرهان القاطع ، والدّليل السّاطع الذي يهزّ كلّ كيان خاطيء ، ويزلزل كل نظرية مهترئة .

وهذا الموضوع نفسه هو الذي يعبّر عنه الشاعر (حرزالله) في قوله :

انّها النّبع فهيّا نستقي

حان أن نجعل منها الموردا (7)

فالفضاء بعدما كان يحلّق طليقا هنا وهناك ، ينحاز قليلا قليلا لينغلق على ما يروم الشاعر ان يتوصّل اليه من أنّ اللغة " نبع " وأنه كما يكون المنبع مصدرا للماء الزّلال، والا رواء ، ومكانا مطلوبا للسقي منه والصّدور عنه ، فانّ اللّغة كذلك نبع نمير لا بدّ من أن يرتاده كلّ من ينشد الصّفاء والانتعاش...

ومن غير أن يشجب الدّاعين الى ضدّ رأيه ، فانه قد قال:

" حان أن نجعل منها الموردا "

فالعبارة الخطابية هذه جاءت لتنتهي الصّراع ، ولتبعد كل تأويل أو لجلجلة ، فهي بمثابة المفتاح الذي أوصد باب الفرنسة والتشويه والمسخ .

5ـ الفضاء المحاط بالمهاول :

قد يستغرب القاريء وجود مثل هذا الفضاء في خطاب شعري موجه اصلا الى أطفال ابرياء يميلون الى المرح ، ويصبون الى المسّرات ، ولكن ، بمجرد معرفة السبب يزول العجب ـ كما يقال ـ ذلك أنّ اللّجوء الى هذا الفضاء لم يكن من أجل ازعاج هذه الانفس البريئة ، وانما كان فضحا لشرّ من شرور المجتمع أو تعنيتا بظلم أو تشهير باضطهاد القويّ المتجبّر للمستضعف من ذلك ماقاله الشاعر (الغماري) على مدى أبيات عديدة :

فدون الربيع رياح السّموم

ودون جنى الشّهد وخز الابر (8)

يبدو هذا الفضاء المحاط بالمهاول في الهدف الذي رسمه الشّاعر للوصول الى الدّرب الاخضر المفروش بالورود، لكنّه يوضّح بأنّ دون ذلك مهاول ومشاقّ، انها تلكم الرّياح العاتية المزمجرة الحاملة معها الحصباء المحرقة ، والاغيرة المعمية .. حتى وان استعمل الشاعر الجمع فهو يريد به التأكيد والكثرة ، وفي

المقابل الاخر هناك الصّورتان :

ودون جنى الشّهد ⟵ وخز الابر

فالفضاء الذي نريد أن نتحرّك داخله يجعلنا نتعب من اللّف والدّوران، لانّ معترضنا ، وهو يتمثّل في لسعات ابر النحل التي لا تسمح لاحد بامتصاص عسلها الآ بعد أن يدفع الثّمن !

ومن ذلك ما يذكر الشاعر (حرز الله) في قوله :

من دمانا يابلادي سوف نسقيها البذور(9)

فقد جاء الاستعمال الالسنيّ هنا ضمنيّا يدعو الى التّضحية بكل ما يملكه المرء من نفس ونفيس، اذ أنّ الانطلاقة بالتضحية تكون من هذا المواطن المخلص الذي يسترخص دمه من أجل أن تزهر بذور الخير، والانتصار، والتقدم ، وما عطف عليها من صفات الاماني التي يتمناها الشاعر لبلده ، فكلّ ما يأمله مرهون بالقربان الذي يكون جسرا لبلوغ هذه الاهداف.

6 ـ الفضاء المتعدد :

أيمكن أن يتعدد الفضاء في الخطاب الشعريّ لهذا الرباعي؟ أجل.. انّ ذلك قائم ، اذ ما دام أن قد رأينا الفضاء المحدّد أو المحاصر والفضاء المحاط بالمخاطر، نحسب ان البحث في هذا النوع من الفضاءات يثري الدّراسة من وجهة ، ويعزّز الانواع التي سلفت من وجهة أخرى.

والفضاء المتعدّد نعني به التعدّد في هذه الصفات التي يحملها ، ومن ذلك قول الغماري :

وبا يعتم الحقّ والحقّ صوت ..فصيح اذا باطل جمجما (10)

انّه خطاب موجّه الى الشهداء الذين ضحّوا بحياتهم من أجل الجزائر وقد كانت الصّفة الالسنية" الحق" متعدّد الفضاء.. انه لم يتوقف لدى عنصر واحد، بل نقل ذلك عن طريق واو الحال الرابطة بين الحق(الاول) والحق(الثاني).. ففي الاوّل تعهّد وتضحية واستبسال من اجل نصرته ، وفي الثاني توضيح لسبب، فالدال له صلة بالمدلول وهو ما يجعل هذا الصوت قويّا مجلجلا لانه لا تشوبه التواءات ولا مراوغات تسيء اليه . فهو (فصيح) ازاء لجاجة الباطل وظلمه وعنته وقسوته ، وهو محطّم لذلك كله في المقابل ، فلا قيمة له اذا.. ويقول :

وان يقتلوا الجسم أو يرجموه
فلن تقتل الرّوح او ترجما (11)

لقد حملت الصفة الالسنيّة تارة أخرى التعداد الذي أراد الشاعر أن يضع فيه فضاءه . فالجسم واحد، والتكالب عليه يحاصره من كل جانب فتعدّد التّعذيب والتّنكيل والاضطهاد له ، وصار العدوّ مخيّرا ما بين التقتيل أو الرجم ـ وكلاهما بلاء وشرّ ولكنّ هذا الجسم قد ألف التعدّد واستأنس بالكثرة ، ووطّن نفسه على هذه المضاعفة الشيطانيّة ، لم يعد يكترث لكلّ أولئك !

وفي هذا المضمار يقول الشاعر (حرز الله) :

هذه الانسام تذكي

تغمر الكون عبير (12)

فالصّفة التي استعملها الشّاعر هنا هي الانسام ، وقد أناط بها مهامّ متعددة ، هذه المهام ليس كما ألفنا ان نعلّمها ، ولكنها انتقلت الى شيء أهمّ، فهي لم تهزز أعطاف الازهار، ولم تهصر قدود الاغصان، ولم تكتب خطوطا متموجة على صفحة الماء في بركة أو غدير وانما هي تعبّق هذا الفضاء بما تنقله اليه من عبير الشّذي ، وما تذكيه به من ريح تعطّره وتفوحّه ، وهي بهذا التّعدّد في الوظيفة المسندة لها تصيّر الكون كلّه شيئا آخر ، وتحوّله الى جنة مليئة بالعطور التي تستنشق من بعيد وأي شيء أروع أو أجمل من أن يغمر الكون كله عبيرا ؟ !

وأرانا في غنى عن الاتيان باستشهادات أخراة للرباعي لانّ طبيعة هذه الدراسة هي الاختصار والايجاز قدر الامكان، ولكنّ هذا لا يمنعنا من الاشارة الى أنّ الفضاء تعدّد في الخطاب الشعريّ للطفولة فلم يأخذ سبيلا واحدا ، ولم ينهج طريقا آليا ، بل تعدّد تبعا للموضوع وللصّورة وللوصف المراد التوصّل اليه .

- ب - الزّمن الادبيّ

لعلّه من الفائدة أن تتبّه بداءة بديء ، بأن المقصود بالزمن الادبيّ هو غير المقصود بالزمن الفلسفيّ أو النحويّ مثلا ، لانّ الزمن النّحويّ لا يعد وما هو متعارف عليه ، متفق على اصطلاحه من ماض وحاضر

ومستقبل، وما قام هذا المقام من الاشتقاقات المختلفة لهذه الافعال ، وينصرف الزمن الفلسفي الى قضايا لها علاقة مرهونة بوقتها ، لكنّ الزّمن الادبي أشمل وأكثر احتواء لمختلف ذلك كله فهو داخل الكلمة ، ان لم يكن هو اللفظة نفسها في أحايين كثيرة ، لانّه ينشأ عمّا تلده هذه الكلمة المتفخمة المرّحم بـ ومثل هذا الزمن هو محور الدّارسين المحدثين، فترى أحدهم يكتب عنه في الرواية والثاني في القصة القصيرة ، والثالث في الشعر وهكذا ...

وتجدر الاشارة الى أن الزّمن الادبيّ منوّع مختلف تبعا للمواقف التي ورد فيها ، ولكنّه لا ينأى كثيرا عن هذه التّوضيحات أو العناوين التي تتلخص في : الزمن المعتزّ بنفسه ، وزمن الاستهزاء والسخرية وزمن التفاخر والتعاظم ، وزمن التفاؤل والامل، وزمن التّحدّي وهكذا ...

1ـ الزّمن المعتز بنفسه

ونحمل أعلامنا الخضر زهـوا

فيمتدّ افق وتخضرّ بيـد (13)

*   *   *

يميد بذكراهم اليوم عيـد

ويزهر في شفتينا القصيد (14)

*   *   *

أفدي اخضرارك فهو رمز مسيرتي
أحمي احمرارك فهو يعني ثورتي (15)

* * *

زرعتك في حنايا القلب وشما
ليلهمني اذا ما اشتقت صبرا (16)

* * *

لقد اوضحنا منذ البدء بأن الدّراسة للمجاميع الشعرية ستكون جملة واحدة ، ولكنّ ذلك يستعصي أحيانا مثلما هو الحال عليه الآن، حيث اننا لن نستطيع أن نفعل ذلك دفعة واحدة ، بل سنقف ازاء كلّ نموذج وقفة مستقلة وان يكن لهذه الوقفات ارتباط بعضها ببعض.

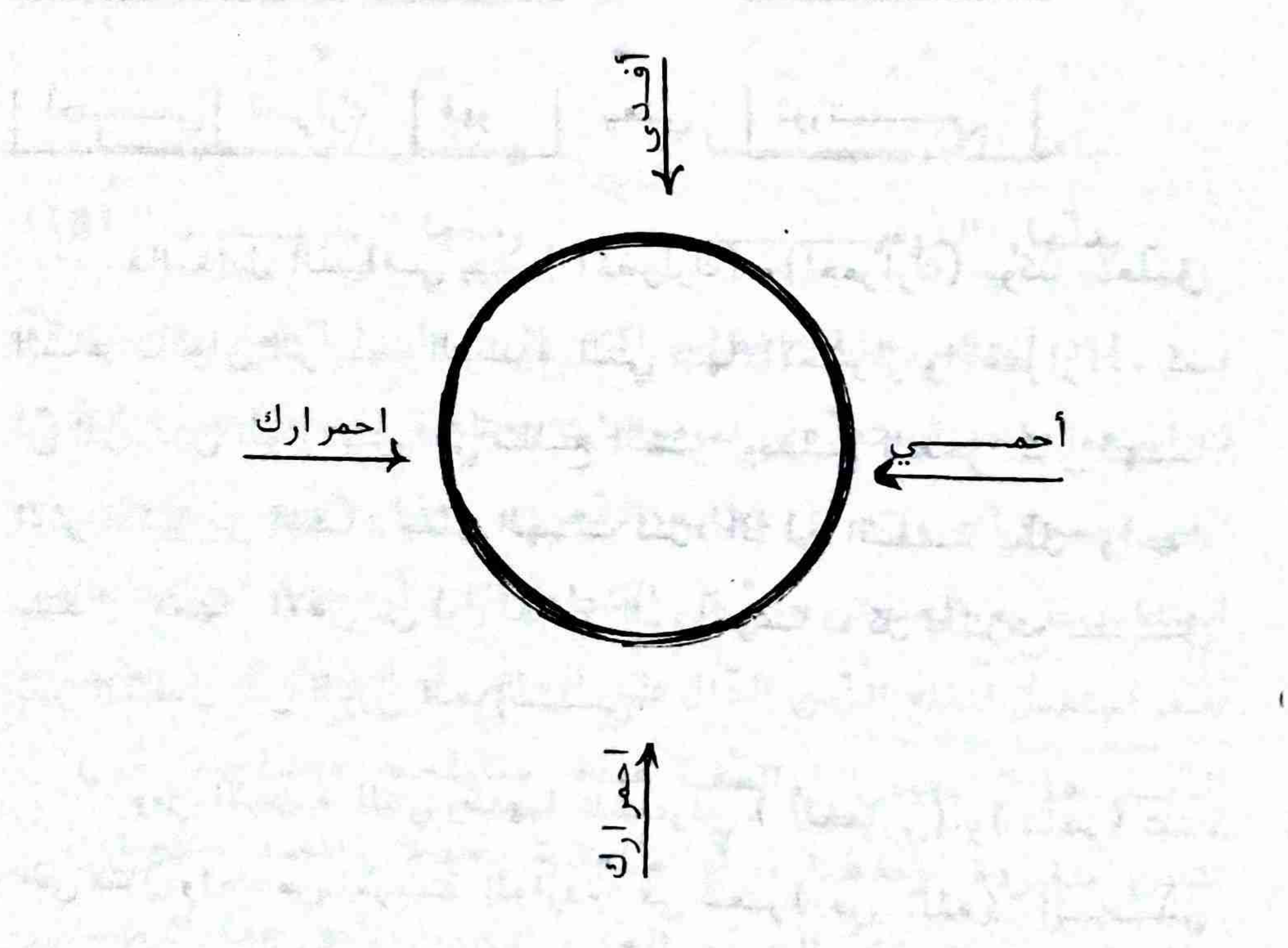
ونبدأ ذلك بما استهدفنا به أولا: فالشاعر (الغماري) يقرّر في اعتزاز أنّ البنود تحمل في اعتزاز ، وسبب ذلك هو أنها تمثّل وطنا حرّا مستقلا راياته مرفوعة في كل مكان .

وبفضل هذه الصفة التي أوضحها الشاعر تخضّر البيد، وتتسع الافاق، هكذا جاءت الازمنة (تحمل- يمتدّ - تخضرّ) لتأكيد هذا الاعتزاز الذي يحمله الشاعر في قلبه ، ويعبّر عنه في خطابه الشّعريّ دالاّ بذلك على هذا الانشغال المستمر بالوطن .

ويزداد الامر جلاء في هذا الزّمن الصّبح الذي يحمل في نفسه فضاء له علاقة بالشّهداء الذين قدّموا أرواحهم رخيصة في سبيل هذا الوطن ، ولا سيما أنّ هذا النموذج الثاني للغماري

يشتمل على زمان صريح واضح (يميد- يزهر) وزمان داخله (اليوم) .

والصّفة الزمانية هذه تتحقّق لدى الشاعر (ناصر) أيضا حين يوظّف هو هذه الازمنة بطريقة لا يرتاب فيها أحد، ذلك أنّ أزمنة (أفدي) و (أحمي) و(يعني) قد أتت متتالية :



فالزمانان(أفدي)و (أحمي) انما وضعا بعناية ليحاصرا العلم الوطنيّ من كل جهة ، ولكنّ هذه المحاصرة ليست سياجا شائكا من الاسلاك ، وانّما هو حصار لصالحه ، بل لحمايته وصونه ، بالاضافة الى أنّ الزمن(أفدي) تنغرس فيه كلّ معاني التضّحية والاحتراق في أتون هذا العلم ان اقتضى الامر .

ومن الواضح أنّ التّطابق بين (اخضرارك) و(احمرارك) مع الزّمانين(أفدي) و(أحمي) كان له أثر في دلالة الالفاظ على ما يكنّه الشاعر من اعتزاز وتقدير لهذا العلم ، ونعّبر عن ذلك بالرسم البياني التّالي ليتضّح التمثيل أكثر :

أفدي	اخضرارك	فهو	رمز	مسيرتي
أحمي	احمرارك	فهو	يعني	ثورتي

فالتقابل السياقي بين (اخضرارك) و(احمرارك) يؤكد تعلّق الشّاعر بألوان الراية الوطنيّة التي منها الاخضرار والاحمرار... كما أنّ الزمانين الواردين في مطلع الصدر ومطلع العجز كان لهما الاثر الاكبر في اضفاء جمال البيت ككل، اذ أنّ النّغمة تظّل واحدة تنتقل معها الاذن من أول لفظة الى آخرها ، كل ذلك مع تطبيق بحر الكامل في الوزن العروضي.

ومن الازمنة التي وظّفها الشاعران (الغماري) و(ناصر) ننتقل الى مثال واحد من الازمنة الواردة في شعر (حرز الله) الذي يستعمل الزّمن ؟ زرعتك) وأوّل ما ينشغل به الفكر ، ويسرح الخيال هو أنّ هذا الزّمن ينصرف مدلوله الى ما يزرع عادة من حبّ مختلف الوانه ليعود على المخلوقات بالخير الوفير، وليشبع بطون الجياع والمحتاجين ، لكنّ الشاعر ينيط هذا الزمن (زرعتك) بوظيفة أخراة وهي الزّرع المعنويّ وليس الماديّ، اذ بدلا من أنّ هذا الزرع يكون

في الحقل البراح، والارض المراح يزرع في فضاء آخر ، هو الحنايا التي تحيط بهذا القلب لتغدو وشما مرجّعا لا ينجلي أثره .

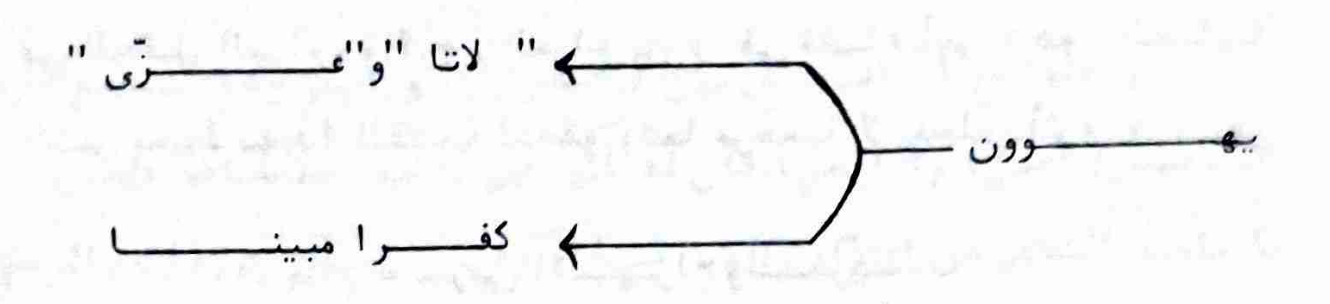
2 ـ زمن الاستهزاء والسّخريّة

فيهوون" لاتا"و"عـزّى ويهوون كفرا مبينا !
يسودون باسم الفقير ومن خبزه يسرقونا (17)

* * *

تباعد الاقاربا وتعشق الاجانبا
يذلّها الدّوفيز وحجّها " باريز " (18)

لقد انعكس هذا الخطاب اكثر في ديوان (الغماري) حيث انّه قد استعمل ازمنة متعدّدة لموضوعات مختلفة ، ومنها هذا الزّمن الذي نحسب أنه وارد في خطابه الشّعري، وهذا الزّمن بالمفهوم المتناسب مع العنوان جليّ في الاشارة التي أوضحها الشاعر فقد استعمل لذلك الزّمن الدّال على الحاضر أو المستقبل ، وهذا الزّمن هو " يهوون" والصّفة هذه مستملحة مستطابة حين تكون منفردة وحدها ، أو ملتصقة بصفة رائعة مثلها ، متلائمة معها ، لكنّ الحبّ العارم الذي يحمله هذا الزمن ليس حبّا صافيا بريئا ، بل نلفيه حبّا مدنسا، والدّنس قد اعتوره من جراء ما آل اليه :



انظر الى ما يحملـه هـذا الزمـن من تشنيـع ، وما ينوء بـه مـــن سخريـة ظاهرة وباطنـة ، وأي استهزاء أكبر من أن يعبد أقوام اللات والعزى بعد أن مرّ على مجيء الاسلام اكثر من أربعـة عشر قرنا ؟!..

ولكنّهـا الحقيقـة المـرة ، فهؤلاء موجودون في المجتمع ، منتشرون بكثرة منهم الحمر، ومنهـم الصفر، ومنهـم المتلونـون أو الساخطـون على هذا الدين السّمح ، بيد أنهـم من ناحية أخراة منغمسون حتى أذقانهـم في الاعجاب بما يخدم الضّلال ، وينشر الكفر والفسوق و والعصيــــان .

وهذا الزمـن يقرن بزمـن آخر " يسودون " وقد أتى هنا ليفضحهم أكثر، وليظهرهـم على حقيقتهـم متعرّبن من شـوب التخلّق والحيـــاء والتعفّف ولا سيّما أنّهـم اتخذوا من اشلاء الفقـراء مطيّة لاطماعهـم ودناياهـم ، وأصرّوا على الزّيادة في تجويعهـم وتفقيرهـم بسرقتهـم أدنى ما يقتـات به هؤلاء المعدومون ، وهو الخـبز !

ثم تأتي الازمنـة الثلاثـة تباعـا لتشرح كارثـة اخرى مـــن كوارث هـذا المجتمع ولتنبّه النشء النظيـف والجيل الجديـد حتى لايبتلـى بمثلهـا ، وقد حملت هـذه الازمنـة سخريّـة وتهكّما لا نظيـر

لهما ، ذلك أنّ الزّمن " تباعد" يحمل في طيّته شحنات صوتية قوية ، ويشتمل على مداليل متعدّدة ، ويطرح السؤال قبل التعرّف على الصّفة المرتبطة به ، أو المدلول المنشود: " تباعد" من ؟!... ماذا؟!... فقد يتبادر الى الاذهان " تباعد" الشر، والظلم ، والمنكر والفقر، والشره، والنار، والغلاء ، والتعدي، وغيرها من الصّفات السنيّة التي لا تحصى ، لكنّ السّامع يفاجأ حين يخبره المدلول: " الاقاربا" ... هكذا يحمل هذا الزمن في نفسه ما اشرنا اليه من عوامل السّخريّة ، اذ أنّ الاوره الاولق هو الذي يبعد أقاربه ويلقي بهم بعيدا بعيدا ، ويؤثر عليهم الاباعد الذين مهما يتظاهروا له بمعسول التزكية فانهم يكونون يقولون ما لا يفعلون ويظهرون خلاف ما يبطنون ... وقد قصد الشاعر بتمثيله أولئك الذين يسقطون في حضن الاجانب، وهو ما يكشف عنه الزّمن التالي:

" وتعشق الاجانبا "

وأكبر بليّة ابتلي بها العالم العربيّ هي سقوطه في فخ الحضارة الاجنبيّة من انجليزية وأمريكية وفرنسية . وتزداد الطّامة اكثر في الجزائر حيث نجد أناسي كثيرا يقتلون أنفسهم من أجل هذه الحضارة الاجنبيّة وفي سبيل هذا البريق الغربيّ الذي خلب ألبابهم وأفسد أفكارهم وطمس النور في أفئدتهم ، فصاروا كما وصف الله سبحانه وتعالى أشباههم :

" لهم قلوب لا يفقهون بها . ولهم أعين لا يبصرون بها . ولهم آذان لايسمعون بها . أولئك كالانعام بل هم أضل . اولئك هم الغافلون " (19).

وأية غواية أخلاقية وتاريخية وحضارية الام أو أخبث من قوم أذلهم " الدوفيز " وصارت قبلتهم الاولى وكعبتهم المأثورة " باريس " ؟ !

وأخيرا ، فانّ هذه الازمنة قد عبّرت عن مداليل مختلفة ، وقد اجترأنا بهذه الاشارة وبنوعين من الازمنة ، تاركين المجال رحبا لمن أراد أن يضيف جديدا أو يثري ماقلناه ، أو يأتي بغير ما أتينا به فالدّواوين الاربعة حافلة بالازمنة المختلفة الوظائف الالسنية ، والمداليل المتباينة .

هوامش الفصل الثالث

1- الفرحة الخضراء ص:22

2- نفسه ص:52

3- ناصر: م.س ص: 20

4- حرز الله : م.س. ص: 15

5- نفسه ص: 16

6- م.س ص: 54

7- م.س ص:16

8- م.س ص: 9

19 م.س ص:52

10- م.س ص: 4

11- م.س ص:5

12- م.س ص: 52

13- الغماري :م.س ص:7

14- نفسه ص:7

15- ناصر: م.س. ص: 9

16- حرز الله م.س ص:5

17- الغماري: م.س ص:11

18- نفسه، ص:36 هذا، ولم نعثر على مايمثّل هذا النّوع من الزّمن لدى الشعراء الثلاثة الاخرين.

19- سورة الاعراف، الاية : 179

الفصل الرابع

خصائص المعجم والبنية التركيبية

في

الخطاب الشعبي للرباعيّ

أ- خصائص المعجم الفني للراعيّ:

1- الوطن

2- العلم الوطني

3- الثورة وما في حكمها

4- الجهاد والتضحية

5- الدم والعذاب والقتل والشقاء والدموع والالم والنار وما في حكمها.

ب - مدى تلاؤم هذا الخطاب الشّعريّ مع مستوى الاطفال

ج - خصائص البنية التّركيبيّة في الخطاب الشّعريّ للرّباعيّ

- استنباط واستنتاج الادوات التي تكوّن البنية في جدول تفصيليّ

- توضيح الجدول والتعليق عليه.

أ- خصائص المعجم الفنيّ للرباعيّ

لا داعي الى الوقوف طويلا لدى ماهية المعجم الفني ومفاهيمه المتعدّدة بين القدامى والمحدثين، طالما تكفّلت بذلك كثير من كتب النقد الحديثة، ولا سيما تلك التي بنيت على الالسنيّة أو البنيويّة ونحويهما (1) على أنّ هذا لا يعفينا من تحديد القول اننا نريد بالمعجم الفنيّ الشعريّ: ما ورد في دواوين (الرباعي) من صفات مشتركة متقاربة ماداموا يحيون في عصر واحد، ويلحنون الى هدف واحد، هو خدمة الطفولة والانشاد لها.

والواقع أننا كنّا قد ألمعنا في الفصل الاول من هذه الدراسة الى المحاور الرئيسية التي كوّنت الموضوعاتية، ونحسب أنه قد آن الاوان لتوضيح ذلك وتفصيله بصورة أكثر اشراقا، ويتجلى ذلك في المحاور الفنية التالية:

أ- حبّ الوطن وتخليد الثورة، وتمجيد الشهداء

ب- محبة الله والرسول والاستمساك بالدّين الاسلامي.

ج- حبّ الطبيعة بكل ما فيها من متحرك وجماد

د- حبّ البيئة المدرسية وما في حكمها.

على أنّ المحور الاول هو الذي نعتبره قد اشتمل على المحاور الاخرى وهيمن عليها، اذ أنه هو الموضوع الذي استأثر باهتمام الرّباعي، وانبثّ من خلال قصائد المجموعات الاربع.

ونظرا الى أنّ دراسة معاجم هذا المحور مجتمعة تفضي الى خلط واضطراب، ارتأينا أن ندرج تحت كل معجم ما نراه يمثله حسب الرموز المشروحة في الهامش(2) ، علما وأننا بعد مستويات عدّة من القراءة خلصنا الى تحقيق المعاجم الفرعيّة التي تندرج تحت حكم المحور الاول الاكبر ، والذي حوى قصائد عديدة تجاوزت الاثنتين والعشرين كما اننا سنضرب صفحا عن بقية المحاور الاخرى حتى لا تستطيل هذه الدراسة من جهة ، وانها لا تقدم غناء كبيرا لها من جهة أخرى .

المحور الوحيد: حبّ الوطن وتخليد الثّورة وتمجيد الشّهداء

المعجم الفنّي الاول : الوطن

غ/7: ونهتف باسم الجزائر فخرا

غ/7: وان الجزائر ام ولود

غ/10: جزائر يا أمنا

غ/14: والمجد للجزائر

غ/15: تحيا به الجزائر

غ/16: أهواك يا جزائر

غ/17: ما اروع الجزائر

غ/18: وان من حرّر البيضاء عاشقها

غ/18: وان من ينصر البيضاءأنصار

غ/20: احفظ لنا الجزائر

غ/21: جزائر البشائر

غ/36: محبة الاوطان

غ/36: على الاوطان تقسو

غ/37: ذاكرة الاوطان

غ/44: وان جزائر الثوار تبقى

غ/47: لجلالها تعنو الجزائر

غ/47: الله اكبر يا جزائر

غ/50: جزائر يا مقلتي وكياني

ح/5 : وماذا ما الليل يا وطني احتواني

ح/6 : لك الايام يا وطني

ح/7 : وتغدو النفس يا وطني

ح/8 : بين أهلي في بلادي

ح/9 : نرفع البيضاء دوما

ح/10: لست أرضي عن بلادي بدلا

ح/32: وهبت الى وطني بذريتي

ح/34: كالثلج في بلادنا

ح/36: انا الكشاف يا وطني

ح/36: زمام النصر يا وطني

ح/37: بلادي الروح نفديها

ح/37: كتاب الله يا بلدي

ح/37: فعش دوما لنا وطنا

ح/38: بلادي ثورة الاحفـــاظ

ح/39: ستبقين شامخة يابلادي

ح/39: جزائر يا روضة الفاتحين

ح/39: جزائر يامنبع الثائريـــن

ح/39: جزائر يا قبلة العاشقين

ح/41: بلادي أيا دهـا في عروقـــي

ح/52: من دمانـا يا بلادي

* * *

ن/11: رضعت من الام حبّ بلادي

ن/12: شراك أيا وطنـي من قـد م

ن/18: لاتوّج رأسك يا وطنــــي

م/5: نحن حماة العرب في الجزائر

م/6: ياجيلنا يا جيل ثورات الوطـن

م/7: ثمارهـا وقف على البـــلاد

م/24: ياموطني يابلادي

م/27: حققت نصر بلادي

م/29: في اقتصاد الوطـن

م/30: في سماء بلادي

م/35: ياروعة الاحداث في ارض الجدود

م/39: الى وطني والى شعبــه

م/40: بشارة تحرير شعـب الجزائـــر

م/42: لثـراء وطنــــــي

م/44: كي أرى شعــب بلادي

المعجم الفني الثاني: العلـم الوطني

غ/7: ونحمل أعلامنــا الخضر زهــوا

غ/14: وخفقـة البنـــــــود

غ/20: كرايــة الجزائـــــر

* * *

ح/33: هذا فؤاد رايتـــــــي

ح/34: هذا جبين رايتـــــــي

* * *

ن/7: في كل قلب خفقة لك ياعلـــــم

ن/7: فاسلم على أرض الجزائر يا علـم

ن/8: نفديك يا رمز السّيادة يا علم

ن/8: حيتّك خفقـة أمة تهدي العلـم

ن/9: نفديك يا رمز الجزائـر ياعلـم

* * *

م ٠ /: لاشـــــــيء

المعجم الفنّي الثالث/ الثّورة وما في حكمها:

غ/8: نثور كأجدادنـــا

غ/11: بثوراتهم يحلمونـا

غ/17: ثاروا، ولولا كتاب الله ما ثاروا

غ/27: يا أم الثّورة والثّائـــر

غ/28: غدنا بالثّورة أعياد

غ/44: وانّ جزائر الثّوار تبقى

غ/45: هذي الجزائـر ثـورة

غ/50: تثورين في كل درب

ح/7 . دعا أوراس قلبي فاستجـاب

ح/24: ومع الثّوار مجاهـدة

ح/37: عظيم مثل ثورتنـــا

ح/38: بلادي ثورة الاحفـاد

ح/39: جزائر يا منبع الثائريـن

ن/7: نفديك بالروح النفيـس

ن/8: نفديك يا رمز السيادة يا علم

ن/8: أفدي اخضرارك فهو رمز مسيرتي

ن:9: نفديك يا رمز السيادة يا علم

ن/12: وأفدي دوما وحدتي وحدودي

م/6: يا جيلنـا يا جيـل ثورات الوطـن

م/27: ثــورة شعبـــــي

م/27: بـالدّم الغـالي افديهـا

م/39: حملنـا السلاح لكـي نتحـرّر

م/41: ضحيت في سبيلهـــا

م/42: من صداء ثورتـــــي

المعجم الفني الرابـع : الشهـداء والتضحيـة

غ/4: وهبتم وجودكـم الاكرم ـــا

غ/4: وكنتم لداعـي الجهاد الفـا

غ/4: وبايعتـــم الحقّ والحقّ صوت

غ/4: وكنتـم على الكافريـن سعيرا

غ/4: ولحتم بآفاقنـا أنجمـــا

غ/5: هزمتم جيوش النّصارى الغـزاة

غ/6: سلام على شهـداء الجهـاد

غ/6: على الخالدين سلام سلام

غ/7: يميد بذكراهـم اليـوم عيـد

غ/13: لئن قتلوا لم يكونوا ـ على بعدهم ـ ميتينـا

غ/13: لقد قال ربيّ فيهـم ـ ولاحسبن الذّينا

غ/17: تلك المقابر بعض من مفاخرنـا

غ/17: فيها لمن ضحـوا للتاريخ آثار

غ/27: يا جرح شهيد .. مازالا

غ/44: فان دم الشهيد بكل درب

غ/45: يتآمرون على الشهيد

غ/46: ان دم الشهيد لكم جواب

غ/51: وطن الشهادة والشهيد

ن/8 : ودم الشّهيد على جبينك مشرق

ن/12: وأنقرش في القلب عهد الشّهيد

ح/37: وهبت النفس كي تحيا

ح/38: بلادي ثورة الاحفاذ

ح/43: سلوا الثّوار عنّي

ح/51: درب مليون شهيد

م/24: يا من فداك الشّهداء

م/24: واستشهدت من أجله

م/49: قذمت مليونا (كذا) شهيد

المعجم الفني الخامس: الجهاد والتضحيّة

غ/4: وأسلتم للجهاد خطاكم

غ/4: وكنتم لداعي الجهاد الفما

غ/9: بأنّ الجهاد سليل القدر

غ/12: وكبّر داعي الجهاد

غ/12: وهبّت سرايا الجهاد

غ/17: الله اكبر تعلو في معاركهم

غ/17: الله أكبر في أعماقهم أمل

غ/25: بجياد الفتح فرسان

غ/26: ياسيف الثّورة والثار

غ/45: كم جاهدت...

غ/47: الله اكبر...

غ:47: الله اكبر ياجزائر...

غ/49: وكنت الجهاد على الظالمين

غ/51: الله أكبر ... الحديد

غ/51: كان الامير مجاهدا

غ/52: وقضى الامير مجاهدا

ن/11: ... وفيه جهادي

ح/7 : دعا أوراس قلبي فاستجاب (كناية عن الجهاد)

ح/24: ومع الثّوار مجاهدة

م/17: وجهادنا ونضالنا

م/20: الا هبّيا لحمي الاوطان

المعجم الفني السادس: الدّم والعذاب والقتل والشّقاء والالم والدّموع والنّار وما في حكمها:

غ/5: وان يقتلوا الجسم أو يرجموه

غ/5: فلن تقتل الرّوح أو ترجما

غ/9: وقد علّمتنا دماء الجدود

غ/9: ودون جثى الشهيد وخز الابر

غ/12: يريدون قتلـي...

غ/13: لئن قتلوا .... ميتينـا

غ/14: من رقـدة المقابــــر

غ/17: تلك المقابر بعض من مفاخرنـا

غ/26: وستزهر في الدّرب النـار

غ/26: احـرار ياجبل النـــار

غ/27: ياجرح شهيــــــد

غ/29: زرعوا أرضي جـراح

غ/44: فان دم الشهيــد...

غ/46: ان دم الشهيــــد...

غ/52: قتل الفرنسي السلام

غ/52: وذبّح الطير الغريـد

غ/52: جفّت جداول أرضنــا

غ/52: لم يرحموا شيخا ولا ـ رحموا فتاة أو وليد

ن/4 : فسبقت الدمع لظفـا...

ن/8 : ودم الشهيد على جبينـك

ن/8 : صبغتك من دمهــا

ن/11 : فاسكنتـه بدمــى

ن/11 : وصيّة جدي كتبت بدم

ن/12 : وافدي دما وحدتــي

ن/12 : وأرقى الى المــوت

ن/12: نضمخه بدماء الشمم

ح/5 : في كفي جمرا

ح/14 : ... تسري في دمي

ح/19 : يفاجئني الحزن عند المغيب

ح/19 : وفراش كئيب

ح/20 : ودمع على خدها ينزلق

ح/33 : من دم ليث قلبها

ح/52 : من دمانا يا بلادي

م/26 : تركه قتيلا

م/27 : بالدم الغالي أفديها

تعليق

بعد ترتيبي يتجلى أن المحور الاول قد حوى معاجم ضمت مالا يقل عن مئة واثنتين وسبعين لفظة تتعلق به أو تدخل في اطاره وهو ما يكون نسبة مئوية تقدر ب: 65، 36 (بقراءة العدد على الطريقة الاجنبية) ... يبقى أن نشير بأننا الغينا سائر المحاور الاخرى ، ولم نعن بمعاجمها الفنية حتى لا تثقل كاهل البحث بهذا الاحصاء الذي قد لايقدم في النهاية شيئا ذا غناء كبير وانما أتينا على ذكر الالفاظ القاموسية التي لها علاقة بالمحور الاول كنموذج فحسب، علما بأننا وبعد أن رصدنا هذه الالفاظ اتضح أن الشعراء ذكروا اسم (الجزائر) أو (الوطن) أو (البلد)

أو احدى صفاتها (البيضاء، أرض الجدود) أربعا وخمسين مرة و(العلم) أو (الراية) عشر مرات، والثّورة وما في حكمها خمسا وعشرين مرة ، والشهداء والتضحية اربعا وعشرين مرة ، والجهاد والاستبسال وما في حكمها احدى وعشرين مرّة ، والدّم العذاب والقتل والشّقاء والالم والدّموع والنار وما عطف عليها أربعا وثلاثين مرة ، وهكذا تكون الجزائر اكثر ذكرا كما اتضح تليها صفات العذاب والالم وغيرها ....

بعد كل هذا ، يسهل التّوصّل الى سائر المعاجم الفنّية الاخرى المندرجة تحت المحاور المشار اليها آنفا ، ولا داعي الى تخريجها في هذه الصّفحات للاسباب التي ذكرناها آنفا.

ب - مدى تلاؤم هذا الخطاب الشعبيّ مع مستوى الاطفال

انّ نظرة متأنيّة الى هذه المجموعات الشعرية الاربع تجعلنا نتوصل الى حكم واضح دقيق على مستوى هذا الخطاب الشعريّ وما يختزنه الاطفال من معلومات أمنيّة (نسبة الى الام) وأسريّة ومدرسية ،

ويتضّح من خلال النظرة النقدية أنّ مجموعة الشاعر (مسعودي) (3) لا ترقي كثيرا الى هذا الفنّ، ومعظم قصائده أو ما سمّي كذلك ان هي الا ابيات تغزى الى " النظم " اكثر مما ترتّب ضمن الشّعر الفني ولكن من غير أن نغفل جمال بعض المقطوعات من مثيلات (حب الوالدين)

بينما نلفي مجموعة (حديث الفصول)(4) تحتوي على قصائد في المستوى ، ولا سيما قصيدة (انتماء) قصيدة (حديث الفصول)وكذلك الشّأن بالنسّبة لمجموعة (البراعم الندّية)(5) التي تحتوي على قصيدة رائعة حقا تتراقص لها فرائض الاطفال وتشدّهم اليها ونعني بها قصيدة (مدرستي) وقصيدة (سمري البريء).. وتظّل مجموعة (الفرحة الخضراء) (6) في المستوى الفنّي ولما يطمح اليه الشّعر العربيّ.

وعلينا الان أن نصل الى توضيح ما يمكن ان يكون عائقا ازاء افهام التلامذة من خلال القاموس الفني الذي أتينا على ذكره من قبل ؛ ونحسب أنّ قاموس الشعراء لم يبتعد كثيرا عن معارف الاطفال وثقافتهم البسيطة الاولى ، وان عزيت منهم لفظة أو صفة ، فان ذلك لا يمنعهم من ادراك المعنى الاجمالي او الفكرة العامّة لما يهدف اليه الشاعر ، علما بأنّ القيمة الفنيّة لهذه المجموعات تتفاوت تبعا لطول باع كل شاعر من هولاء الشّعراء وواضح أن هذه القيمة تتأكد لدى الشاعر الذي يملك تجربة ثريّة ويتمتع بشاعرية قادحة ، ويتوفّر هذا الشرط الفني بصورة جليّة في شعر الغماري بالدّرجة الاولى ،فالشاعر (ناصر) ثم (حرز الله) وأخيرا (مسعودي الذي يبدو أنه لا يحمل خلفيات شعريّة ، وتبدو تجربته محدودة . ولقد نعلم بأنّ الشاعر الذي لا يملك تجارب مسبقة في فنون الشّعر المختلفة ويتجه مباشرة الى نظم قصائد للاطفال لا يوفّق في عمله ، لان المفروض

في شعراء الاطفال وكتابهم بصفة عامة الآ يتخصصوا في هذا الميدان دون غيره من الميادين الاخرى ، حتى لايظل الحقل الذي يحرثون فيه أ ديهم محلا أجرد محدودا.

والمهمّ في الامر أنّ الخطاب الشعري الموجه للاطفال كان في المستوى عموما ، وهو ما يشجعنا على أن نأمل أن لو قررت قصائد على التلاميذ لحفظها ضمن مادة المحفوظات (7) في برنامج المدرسة الاساسية ، وهي قصائد كما اقترحنا في الهوامش ذات مدلول ألسنيّ في المستوى ، وذات ايقاع رائع بالاضافة الى ما تحمله من قيم خلقية وجماليّة وتاريخيّة ودينيّة وغيرها.

ج - خصائص البنية التركيبية في الخطاب الشعري للرباعيّ

انّ أول ما نلاحظه هو أنّ الخصائص البنيويّة تكون أوضح في خطاب شعريّ واحد منه في عدّة خطابات، لانّ التّركيز يكون أدق ولكنّ عذرنا في هذا الجمع هو الخطّة التي التزمنا بها ، وهي بطبيعة الحال محاولة ، وكلّ محاولة خاضعة للخطأ والصّواب.

ويجدر الذّكر الى أنّ المراد بخصائص البنية هو البحث عن جواب أسئلة مطروحة تتعلق عادة بما يكوّن الاسلوب أو يبنيه أو ينشئه ومن ذلك مثل هذه التّساؤلات:

- بأيّ شيء تبتديء الابيات الشعرية ، بالاسماء أو بالافعال واذا كانت الافعال هي المتغلّبة : فما الزّمن الذي وظف أكثر الماضي أم الحاضر أو المستقبل؟ ... واذا كانت الاسماء هي المهيمنة فأيّ شيء كان الغالب: المعارف أم النكرات؟

ـ ما مدى طغيان الصّفات أو المصادر على غيرها من البنى الاخرى ؟

ـ ما هي البنى البارزة أكثر من سواها في هذه الدّواوين؟

وقبل الاجوبة على بعض هذه التساؤلات ـ لانّه من غير الاجبار أن نجيب على كلّ شق من الشقوق المذكورة ـ نرى من الافضل أن نكشف عن عدد الابيات التي تضمّها دفتا كلّ ديوان لاخذ صورة متكاملة :

فقد بلغت في ديوان (الغماري) مئتين وسبعة وأربعين (247) وفي ديوان (ناصر) مئة وستة وثلاثين (136)، وفي ديوان (حرزالله) مئتين واثنين (202) وفي ديوان (مسعودي) مئتين وخمسة وأربعين (245) وهو ما يكون (830) بيتا في المجموع .

وهذه الابيات توزّع بنيويّا على الخصائص التالية :

1	2	3	4	5	6	7
البنـــــي	الغماري	مسعودي	ناصر	حرز الله	مجموع	نسبة %
الظروف الزّمانية	2	3	3	3	11	%1.32
الظّروف المكانية	1	4	3	2	10	%1.20
الادوات الشّرطية	12	0	12	14	38	%4.57
أدوات النداء	19	27	0	8	92	%11.08
الجمل المبدئية بنفي ومافي حكمها	15	1	2	8	26	%3.13
اسماء الاشارة	1	1	2	1	5	%0.60
أدوات النهي	1	2	0	0	3	%0.36
أدوات الاستفهام	4	8	2	1	15	%1.80
صيغ التّعجب	8	3	11	7	29	%3.49
الماضي ومافي حكمه	44	37	20	24	125	%15.06
الحاضر ومافي حكمه	59	42	24	35	160	%19.27
الامر (المستقبل) وما في حكمـــه	10	3	4	18	35	%04.21
المعـــــــارف	71	66	50	73	260	%31.32
النكـــــرات	22	7	6	14	49	%5.90

تنبيـــــه :

لم نعتبر الاّ الجمـل التي تبتدىء بهـا الابيـات في كلّ هـذا الاحصـاء الـذي اثبتنـاه ، وهكذا الغينـا ما تضمنـه البيـت في وسطـه أو في الشطـر الثانـي منـه .

شـرح الجـداول :

يبدو من القراءة له أنّ الزمـن الماضي هو الغالـب على الازمنـة الاخرى، وهو ما يجعل الشّعـراء يحنّون الى هـذا الماضـي المجيد (ماضي) المجد العربي ابّان الحضارة العربيّـة الاسلاميّـة والذي ما يزال سنـاه يضيء على المسلميـن، ويعجّ به تاريخهم المشرق يليـه الحاضـر الـذي ينمّ عـن التفكيـر الاثـي، وعن الانشغـال بالهموم المختلفـة التي تؤرق الشّعـراء اذ أنّ هؤلاء أنفسهـم يعيشـون هـذا الحاضر بكلّ حلاوتـه ومرارتـه ، ولا ينسون أن ينظـروا الى المستقبل من خـلال توظيفهـم للافعـال الطّبيـة هـذه ، ولكـن هذه البنية الضّعيفة التي يكونّهـا الامـر تدلّ على أنّ هـذا المستقبـل غامـض، وذلكم الغموض هو الـذي يجعل الشّعـراء يستشفّون ما يحمله من ورائـه وما يأملـون أن يتفجّـر بـه من اشعـاع فكريّ وحضاريّ وغيـر ذلـــك .

ومثـل ما قلنـاه من الازمنـة نقولـه عمـا بقي من الادوات التي كونّـت البنـى ، فالظّروف الزّمانيّة غلبت على المكانيـّة ، وصيغ التعجب طغـت على صيغ الاستفهام ، بينمـا بلغـت أدوات النـداء نسبـة طغـت على أدوات النّهـي وأسمـاء الاشـارة وغيرهمـا ، وهذا النـداء

يحمل في مضمونه صوتا مجلجلا للنّفوس الخاملة ، والاجسام البالية التي أصمّت سمعها وتجاهلت نداء الضّمير، والدّين والوطن ، والعلم ، والنّزاهة ، وغيرها من الاصوات النقيّة التي لا ترغب في أن تكون ثمّة أصوات تنصت لنداء الشّياطين والمترفين والفاسدين .

بقي أن نشير بأن النّسبة المئوية المتوصّل اليها قد انطلقت من اعتبار مجموع الابيات في الدّواوين الاربعة ، حيث قسم كل رقم في الخانة (رقم 6) على عدد الابيات التي تكوّن المجموعات الشعرية الاربع، أي(830) بعد أن ضرب في 100 طبعا . وبهذه الطريقة استنتجنا مختلف النّسب المئوية لكلّ بنية كما هو واضح.

هوامش الفصل الرابع

1ـ يستعمل هذا المصطلح الان كثير من الدّارسين" الحداثيين" في مجال الدّراسات المبثوثة عبر المؤلفات أو المجالات.

2ـ أشرنا بالحرف الاول فقط لكل اسم ، فرمزنا الى (الغماري) بالحرف (غ) والى (حرز الله) بالحرف(ح) والى (ناصر) بالحرف (ن) والى (مسعودي) بالحرف(م) كما أننا قد اصطحبنا أمثلتين برقمين يشير الاول منهما الى الشّاعر ، ويشير الثّاني الى ارقام الصّفحات في الدّواوين الاربعة .

3ـ عنوانها : " نسمات"

4ـ للشاعر (بوزيد حرز الله)

5ـ للشاعر (محمد ناصر)

6ـ للشاعر (مصطفى الغماري)

7ـ القصائد المقترحة هي

أـ الغماري: اغنية للشهداء ـ باسم الجزائر ـ عشاق البيضاء يا أم الثورة ـ حكاية الاسد ـ محبّة الاوطان ـ ياخير اللغات.

بـ ناصر : الهي ـ امّي ـ مدرستي

جـ ـ حرز الله : حلم الاوراس ـ انتماء ـ الفتى المسلم

د ـ مسعودي : نسمة الرّبيع ـ صديقنا الفلاح ـ حبّ الوالدين تحكي لنا جدتنا.

خاتمـــــــــــــــــة

حاولنا في الصّفحات السابقة أن ندرس الخطاب الشّعريّ الموجّه الى الاطفال في الجزائر أصلا، والى الاطفال في العالم العربيّ ، وقد اتّضح لدينا أنّ السّبيل الى ذلك ليلذلولا، بل انّ التأثير على نفس الطّفل وجذبه نحوك ، واستقطاب اهتمامه اليك أمر عسير ولا سيما في هذا الظرف الذي نحياه جميعا ويعيشه الطفل معنا، ظرف التّنكّر للمبادئ ، والقيم ، والضّرب صفحا عن الاخلاقيّات والفضائل لتزرع مكانها الشّرور والاثام والعنف والسخف.

ذلك أنّ الطفل الجزائري - في بعض البيئات الضّيقة - يعيش حالة تمزّق نتيجة لتمزّق المستوى الفكريّ للافراد، ولانغماس كثير من الاسر في عفن البورجوازيّة والفرنسية والجحود، وهو ما يكون له انعكاس سلبّي على حياة هذا البرعم النديّ كما لقبّه الشاعر ناصر - لانّه ما ان يفتح عينه على الحياة حتى يلفى عالته في صراع مع نفسها شقيّة بسلوكها ، كثيرة التّلاهي والنّهم والشّره وما ان يبدأ يعي جيدا هذه الحياة حتى يشاهد اللصوص والمجرمين وقطّاع الطّرق أو يسمع عنهم ، فيعيش حياته خائفا مرتجفا يحذر التّنقّل، ويرجو أن ينتقم من هذا المجتمع... ومن هنا تنشأ عنده عقدة الكراهيّة للعمل تقابلها عقدة الرغبة في الثّراء والامن ، والكسل، والارتخاء ..

وهذه العوامل المتناقظة مجتمعة يحدث بينها صراع يفضي الى التنازع بين ما هو صالح وما هو طالح ، فتختلط عنده المفاهيم وتهتزّ القيم ، ويميل في الغالب الاعمّ الى ما هو ميسور سهل .

نقول كل هذا ليس من قبيل التشاؤم ولا التّحريض ، ولكن فقط لنبين مدى صعوبة الكتابة للاطفال الاصفياء الابرياء بصفتهم بذور المستقبل ودعامته الاساسية التي نطمح اليها وتزداد الصّعوبة أكثر حين يكتب المرء لطفل استأثرت بلّبه الشّاشة الصغيرة ، فغدا يحفظ أغاني ويحكي وقائع تفوق سنّه بكثير فهو بدل أن يحفظ مقطوعة تثري لغته وتقوّي زاده ، يؤثر الاقرب الى نفسه الاريح لجسمه فيفتح جهاز تلفزته ويرتخي امامه كما لو كان شيخا أكلته السنون، وقد يظلّ على تلك الحال حتى يباغته النّوم فيحمله والداه الى مكان نومه !...فاين المسؤولية الابويّة ؟ وأين المراقبة ؟ وأين دور الاسرة في تحبيذ الحفظ والترغيب في المطالعة والتثقيف ؟ !

هذه الاسئلة لا يجاب عنها بمعزل عن المجتمع الذي يحيا فيه الطفل ، مجتمع يفضّل الرّبح السريع ، والتّجر الحرام على ألف كتاب وكتاب، وديوان وديوان !...

لكن وعلى الرغم من هذه العوائق والمصاعب، فأنّ الأديب يواصل رسالته لينشر نوره على الكون ، ويقدّم الى شاتمه

القادح في قيمته باقات من الورد، وسخايا من الرياحين وذلكم ما وضعه في حسابه هؤلاء الشّعراء الاربعة الذين ألفوا دواوينهم غير حافلين بما يرميهم به نجتمعهم من احجار وأشواك ولا سيّما أنّ ايمانهم بالجيل الجديد قويّ، وأملهم كبير في أن تتبدّل الاوضاع ، ويتغيّر الحال ويعود الاعتبار الى الثّقافة الطّفلـيّة والثقافة (الكبيريّة) بصورة عامّة.

مهما يكن ، فان هذه الدّواوين قد اخذت على نفسها عهدا بتصحيح الاعوجاج ، ونشر المبادئ المثلى والقيم ، وزرع الخير والامل والسرور، وتشجيع الطفل على العمل والجدّ والمثابرة ، ودفعه الى احترام الكبير ، وتقدير الجهد الانسانيّ، وغير ذلك من الصفات الحسنة التي أبنّا عنها في أثناء دراستنا هذه .

ونحسب أنّ هذه الدّواوين تطمح الى تحقيق النّتائج التالية :

1ـ على الرغم من الاختلاف في الولايات التي ينتسب اليها كل شاعر فانهم يلتقون ـ مع ذلك ـ في صفة الوحدة الوطنية والدفاع عن القيم والمبادئ التي تجمع ولا تفرق، وتقرّب ولاتباعد.

2ـ التفاهم في الدّعوة الى الايمان بالله الواحد الاحد وبالرسول محمد صلى الله عليه وسلم .

3ـ دعوتهم الصّغار الى قراءة تاريخهم الثّوري ومحبّة وطنهم الحبيب (الجزائر) ، هذه الكلمة العظمى التي استشهد من اجل سيادتها مليون ونصف مليون شهيد غداة الثّورة الكبرى فحسب.

4- حثّهم الاطفال في خطابهم الشعريّ على الغرس، والحفاظ على الاخضرار، والعناية بالاشجار والازهار.

5- زرعهم بذور حبّ العربية والاستمساك بها، وتحبيذها الى نفوسهم حتى يألفوا ذلك فيصير لديهم ملكة راسخة لاتريم.

الى غير ذلك من المداليل المضمونيّة التي يمكن أن تستنبط من هذه الدّراسة .

وأخيرا ، فاننا لا نعفي أنفسنا من السهو والنسيان والخطأ ولكنا اجتهدنا - قدر المستطاع- ان تكون هذه الدّراسة قريبة الى الصّدق الفنّيّ والنّقديّ.

والله ولي التوفيق .

د. محمد مرتاض

المصادر والمراجع

القرآن الكريم :

- سورة البقرة
- سورة آل عمران
- سورة الاعراف
- سورة التوبة
- سورة يونس
- سورة الاسراء
- سورة القيامة

1ـ حرز الله (بوزيد) :

- حديث الفصول

المؤسسة الوطنية للكتاب (قسم منشورات الاطفال) الجزائر 86 .

2ـ حيدار (محمد) :

- الانفاس الاخير

ط: المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر 1985م

3ـ د. مرتاض (عبدالمالك):

- بنية الخطاب الشّعري

دار الحداثة للطبوعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ ط1 سنة 86

4ـ مسعودي (يحيى) :

نسمات

المؤسسة الوطنيّة للكتاب (قسم منشورات الاطفال) الجزائر 86

5ـ ناصر (محمـــد) :

البراعم النديـــــة

المؤسسة الوطنية للكتاب (قسم منشورات الاطفال) الجزائر 85

6ـ الغماري (مصطفى محمد) :

ـ الفرحة الخضــــراء

المؤسسة الوطنية للكتاب (قسم منشورات الاطفال) الجزائر 83

7ـ مؤلفون مشتركـــون :

" ندوة المغرب الشرقي" ايام : 13ـ14ـ15 مـارس 1983م

منشورات : كلية الاداب والعلوم الانسانية (جامعة محمد الاول)

ـ وجـــدة (المغرب)

8ـ جريدة الشعب الصادرة بتاريخ : 11شعبان 1409 هـ الموافق

ل: 19 مارس 1989م ، ع: 7849

الفهرس التفصيلي للمـــواد

مقدمـــــــــــــة :........................ أـ ب ـ ج

مدخـل توضيحـــــي :...................... 1ـ 2 ـ 3

الفصـل الاول

الدراســة الموضوعاتيـــــــــة

أـ محبة الله والرسول، والاستمساك بـالدّينالاسلامي: 5

بـ حبّ الوطن وتخليد الثّورة وتمجيد الشّهـــداء : 9

جـ ـ جبّ الطّبيعة بمتحركّهـا وجمادهـــــــــا : 13

ـ مميـــزات شعـر الطّبيعـــة الطفلـــــي : 16

د ـ حبّ المدرسة وما ينضوي تحت لوائهـــــــا : 19

هوامـش الفصـــل الاول :..........................25

الفصـــل الثانـــي

الصّورة الفنيّة وخصائصها المشتركة في شعر الطّفولة

أـ خصوئص الصورة في شعر الطّفولة :...................28

ـ الـصورة في شعر الغماري :.................... 29

ـ الصّورة في شعـــر حرز الله :.....................36

ـ الصّورة في شعر مسعـودي :....................38

ـ الصّورة في شعر نـاصـــــر :....................40

بـ الخصائصّ المشتركة للصّورة الفنيّة لدى الرّباعي.........42

أ- الورد وما في حكمه مما له صفة الشّذى:............ 42
ب- الماء وما في حكمه :.............................. 45
ج- التّشجير وما يندرج تحته من صفات الاخضرار:........... 48
د - الثورة وما يدخل تحدتها:........................ 51
هـ- الحيوانات والطيور وغيرها:........................ 53
هوامش الفصل الثاني :................................ 55

الفصل الثالث

خصائص الفضاء والزّمن الادبيّ في شعر الطّفولة

أ- خصائص الفضاء:..................................... 58
1- الفضاء اللامتناهي :................................ 58
2- التّضايق بالفضاء:.................................. 61
3- الفضاء المتحرك:.................................... 63
4- الفضاء المغلق:..................................... 64
5- الفضاء المحاط بالمهاول:............................ 67
6- الفضاء المتعدد:.................................... 68

ب- الزّمن الادبي:..................................... 70
1- الزّمن المعتزّ بنفسه :.............................. 71
2- زمن الاستهزاء والسّخرية :.......................... 75
هوامش الفصل الثالث :................................. 79

الفصل الرابع

خصائص المعجم والبنية التركيبية في الخطاب الشّعري للرّباعي

أ- خصائص المعجم الفنّي للرّباعي:............ 81

1- الوطن :............ 82

2- العلم الوطنيّ:............ 85

3- الثّورة وما في حكمها :............ 86

4- الشهداء والتضحية :............ 87

5- الجهاد والتضحية :............ 88

6- الدّم والعذاب والقتل والشّقاء والدّموع:............ 89

ب- مدى تلاوة هذا الخطاب الشعري مع(...)............ 92

جـ خصائص البنية التركيبية في الخطاب الشّعري:............ 94

- استنباط واستنتاج الادوات التي تكوّن البنية :............ 96

- توضيح الجدول والتعليق عليه :............ 97

هوامش الفصل الرابع :............ 99

خاتمة

- هموم ومشاكل الكتابة للاطفال:............ 101

- أهم النتائح التي رام تحقيقها الشّعراء:............ 103

- مصادر الدّراسة :............ 105

- فهرس المواد:............ 107

أنجز طبعه على مطابع
ديوان المطبوعات الجامعية
الساحة المركزية - بن عكنون
الجزائر

السعر: 69,00 دج

© ديوان المطبوعات الجامعية
رقم النشر: 3846 .09 .4